

السّيرة الإقتصاديّة للإمام علي عليه السلام

رضا الحسيني
ترجمة: علاء رضائي

دار الولاء
بيروت - لبنان



السيرة الاقتصادية
للإمـــام علـــي عليه السلام



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 545133 1 00961 - 689496 3 00961 - ص.ب 307/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com - daralwalaa@yahoo.com



المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الاسلامي
طهران، شارع احمد قصير ـ بلاك ٢ ـ رقم البنايه (٢)
هاتف: ٩٨٢١٨٨٧٣٤٨٦٣ ـ ٩٨٢١٨٨٥٣١٢٤٩+ فاكس: ٩٨٢١٨٨٧٦٤٧٩٢+
Email: iict.publication@gmail.com

السيرة الاقتصادية للإمام علي عليه السلام

تأليف: رضا الحسيني
ترجمة: علاء رضائي
المراجعة والتقويم: حسين صافي
الإخراج الفني: المنتدى للصف والإخراج الطباعي
تصميم الغلاف: المصمم مجتبى عبيد
الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي
الطبعة الأولى: بيروت ـ لبنان ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م
ISBN: 978-614-420-057-5

السيرة الاقتصادية
للإمـام علي عليه السلام

تأليف

رضا الحسيني

ترجمة

علاء رضائي

دار الولاء

بيروت - لبنان



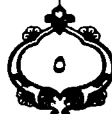

بسم الله الرحمن الرحيم



مسرد المحتويات

الفصل الأول

دراسة تاريخية لسيرة الإمام علي عليه السلام في الإنتاج وكسب القوت



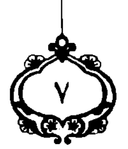
الفصل الثاني

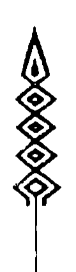
دراسة تحليلية لسيرة الإمام في العمل وكسب القوت

الفصل الثالث

سيرة الإمام علي عليه السلام في الاستهلاك وتخصيص الدخل







كلمة «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الاسلامي»

أبصر «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي» النور في عام ١٩٩٤م، وانطلقت نشاطاته في إطار المشروع الفكري التجديدي. فالمشاريع المعرفية للمفكرين في العالم الإسلامي تنقسم إلى ثلاث فئات، هي: التقليدية، التجديدية، الحداثية الدينية. بالنسبة للفئة الأولى، فهي تتعاطى مع الحداثة باعتبار الأفكار الجديدة بديلة للأصالة والسنّة. وعليه، فإنّ أنصارها يرفضون أيّ تعديل في تلك المفاهيم، مهما كانت الظروف لذلك فإنّ هؤلاء، في نظر أنفسهم، يرفضون الحداثة والتجدّد دفاعاً عن السنّة، وبالتالي يبدو جلياً أنّ أيّ تعديل أو تحديث أو قراءة معاصرة للنصوص الدينية تستجيب لمتطلبات المجتمع الإنساني في النموذج الفكري لهذه الفئة، هو أمرٌ بعيد المنال.

من جهة أخرى، هناك مشروع التجديد الديني الذي يقف في مواجهة التيار التقليدي الديني، آنف الذكر، ويتعامل مع مفاهيم الحداثة والأفكار العصرية بانفتاح كبير، فيقايض مبدأ الأصالة بالتجدّد، ويعمل على [illegible] السنّة وتطويعها بما يتناسب مع المفاهيم المعاصرة.

وفي الوقت الذي يبدو فيه أنّ مآل النموذج المعرفي للتقليديين هو الجمود الفكري، والأصولية، والتماهي، والرجعية، فإنّ نتيجة النموذج التجديدي هي إقصاء السنّة عن الساحة نهائياً، وفتح الباب على مصراعيه أمام المذاهب الإنسانية والعلمانية لتفرض سطوتها على جميع مرافق المجتمع.



في هذه الأثناء، يبرز أمامنا نموذج فكري ثالث هو المشروع الحداثي الديني، لا سيّما الشقّ المجدّد فيه، إذ إنّه في الوقت الذي يبادل الأصالة بالسنّة، إلا أنه يسعى من خلال السماح لمفاهيم الحداثة بالعبور عبر ممرّ السنّة، إلى تعديل وتطوير تلك المفاهيم، فيقوم بتحويل مصطلحاتٍ من قبيل الحرية، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية؛ إلى التحرّر، والمساواة، والحاكمية الدينية.

لقد اختار النموذج الفكري التجديدي العقل والرؤية الكونية للإسلام، كمنظار ينظر من خلاله إلى مفاهيم الواقعية، وبلوغ الحقيقة، وتفسير القيم المعنوية، (المشروع واللامشروع)، ومن هذه الزاوية فهو ينطلق باتجاه التنظير، والإنتاج الفكري في مجالات الأحكام والثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع.

تأسيساً على ما تقدّم، انبرى «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي» إلى إتحاف سوق النشر العالمية بإصداراته التي جاوزت الـ(٨٠٠ مصنّف). تلك المصنّفات التي ارتأت إدارة المعهد أن تنظر بعينين ناقدتين: عين تنتقد المذهب العلماني، والمذهب الإنساني بوصفهما النموذجين اللذين يمثّلان الرؤية الفلسفية السائدة في الغرب؛ وأخرى تنتقد وترفض النموذج الفكري المطروح من قبل التيار الفكري التقليدي الإسلامي، لتطرح بديلاً عنهما هو: العقلانية الإسلامية، والمقولات المنطقية المشتركة، تحت عنوان: النموذج الحداثي الديني المؤطّر بالسنّة.

مع الشكر والتقدير

علي أكبر رشاد

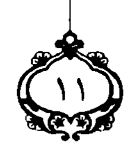
مؤسس «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي»



نبذة سريعة عن
«المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي»
ومؤسسه

بدأ سماحة الشيخ علي أكبر رشاد دراسته الدينية في الحوزة العلمية بطهران في عام ١٩٦٧م، وبعد أن أنهى مرحلة المقدمات، انتقل إلى الحوزة العلمية بمدينة قم في عام ١٩٧٠م، فدرس مرحلة السطوح الأولى والثانية والثالثة والرابعة في الفقه وأصول الفقه على مشايخ كبار من أمثال: حسن طهراني، صلواتي أراكي، اشتهاردي، حرم بناهي قمي، اعتمادي تبريزي، بني فضل تبريزي، يوسف صانعي، السيد علي محقق داماد، سبحاني تبريزي. كما درس الفلسفة الإسلامية في قم وطهران عند الأساتذة: أحمد بهشتي، محمد محمدي كيلاني، الشيخ الشهيد مرتضى مطهري. أضف إلى ذلك، حضور المترجم له ولعقدين من الزمن دروس الفقه، وعلم الأصول لمرحلة الخارج في حوزتي طهران، وقم، عند المشايخ والآيات العظام: حسين وحيد خراساني، علي مشكيني، حسين علي منتظري، السيد علي خامنئي، مجتبى طهراني.

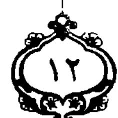
على مدى العقود الثلاثة الماضية، عكف الشيخ الأستاذ علي أكبر رشاد على تدريس موضوعات الفقه والأصول والفلسفة والعرفان في الحوزة العلمية في طهران، فضلاً عن فلسفة الدين، والعلوم القرآنية، وميثودولوجيا



فهم الدين في الجامعات. كما أنّ سماحته يواصل، ومنذ عشر سنوات، تدريس مرحلة السطوح العالية (مرحلة الخارج في الفقه والأصول).

حالياً يشغل سماحة الشيخ رشاد منصب عضوية المجلس الأعلى للثورة الثقافية، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومجلس رسم السياسات لحوار الأديان. كما إنّه مؤسس ورئيس المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي، وهو أكبر صرح دراساتي، غير حكومي، يعنى بشؤون الدين والعلم في إيران. للمعهد العالي العالي أربعة معاهد تضمّ في مجموعها ٢٠ قسماً تتوزع على فروع: الفلسفة، الأبستمولوجيا، العرفان، الدراسات القرآنية، علم الكلام، الدراسات الدينية، منطق فهم الدين، الأخلاق، الفقه والتشريع، السياسة، الاقتصاد، الإدارة الإسلامية، الدراسات الغربية (الاستغراب)، التاريخ والحضارة، الدراسات الثقافية، الثورة الإسلامية، آداب الفكر... إلخ.

جاء تأسيس المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي في عام ١٩٩٤م، في ظلّ الحاجة الملحّة إلى البحث في الشؤون الفكرية المعاصرة، والتركيز على الاتجاهات النقدية والحداثية في المستويات العليا، وقد أثمرت الجهود العلمية للمعاهد التابعة له عن صدور ما يزيد عن ٨٠٠ عنواناً من المصنّفات المدوّنة، وهناك حالياً ثماني دوريات علمية تصدر عن المعهد العالي هي «قبسات» (مجلة متخصّصة في فلسفة الدين/ ذات رتبة علمية ودراساتية)، «ذهن» (متخصّصة في علم المعرفة)، «اقتصاد إسلامي» (ذات رتبة علمية ومحكمة)، «حقوق إسلامي» (ذات رتبة علمية ودراساتية)، «كتاب نقد» (دورية فكرية نقدية)، شهرية «زمانه» (متخصصة في التاريخ وعلم الاجتماع السياسي لإيران المعاصرة)، فصلية «حكمت» العالمية تصدر باللغة الإنجليزية (متخصّصة في الفلسفة واللاهوت)، وفصلية «الحكمة» العالمية باللغة العربية (متخصصة في النظم الاجتماعية في الإسلام).



كما صدرت عن المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي في العقد الأخير أربع موسوعات بإشراف سماحة الشيخ رشاد، عناوينها:

١ ـ موسوعة الإمام علي عليه السلام (صدرت في ١٣ جزءاً).

٢ ـ موسوعة القرآن (دوّن منها ٣٥ جزءاً حتى الآن).

٣ ـ موسوعة السيرة النبوية (في ١٥ جزءاً، وهي قيد التدوين).

٤ ـ موسوعة الثقافة الفاطمية (صدرت في ٦ أجزاء).

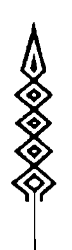
بالإضافة إلى ما تقدّم ذكره، فإنّ سماحة الشيخ علي أكبر رشاد هو مؤسّس ورئيس الحوزة العلمية للإمام الرضا عليه السلام، وهو مجمع علمي يشمل جميع المستويات العلمية الحوزوية.

علاوة على المعاهد الأربعة (النظم الإسلامية، الثقافة والدراسات الاجتماعية، تدوين الموسوعات، الحكمة والدراسات الدينية)، هنالك الأكاديمية العالمية والتي هي في طور التأسيس، والهدف منها توسيع شبكة الارتباطات العلمية، وقد طرحت هذه الأكاديمية مشروعاً ضخماً للترجمة، يشمل ترجمة ٢٠٠ مصدر إلى مختلف لغات العالم، ناهيك عن مشاريع أخرى عالمية في مجال التنظير، أو نقد آراء مشاهير المفكرين في العالم. وتنضوي تحت لواء المعهد العالي العديد من المؤسسات والمراكز العلمية التي تقوم بإصدار العديد من النتاجات التي تهمّ شريحة الشباب وطلبة الجامعات.

مع الشكر الجزيل

الدائرة العامة للترجمة والنشر الدولي





المقدمة

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

من أجل تحقيق نجاحات اقتصادية، يحتاج الإنسان إلى نماذج موضوعية وعلمية، كحاجته إلى النماذج الفطرية في مجالات الأهداف والمبادىء والمناهج الصحيحة، على اعتبار أنّ النموذج الموضوعي هو البيان العملي والمصداق الجزئي لتلك الأهداف والمناهج. ومن هذا المنطلق نجد القرآن الكريم، ولأجل هداية الإنسان في مسيرة الحياة الصعبة، يبيّن الحقائق والقيم التي تحكم الإنسان والعالم ضمن عملية، تأهيل علمية ويؤكّد على دور الإمامة باعتبارها الهداية العملية للبشر والأسوة التي يقتدي بها، ويمكن أن نتلمّس هذه التأكيدات في العديد من الآيات، كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

ومع الأخذ بالروايات الواردة، فإن هذه الأسوة تشمل الأئمة عليهم السلام؛ حيث ورد في العديد من التفاسير أنّ المقصود بالآية هو الإمام علي عليه السلام[3] ويشكل ذلك بحد ذاته دليلاً على الأهمية والمكانة الراقية

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) راجع: محمد محمدي ري شهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٨، ص١٢٥ ـ ١٢٧.



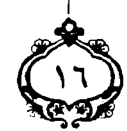
التي يوليها الإسلام للإمامة. في الحقيقة، إنّنا لو أردنا أن نجسّد جميع القيم التي جاء بها الإسلام ومعايير الفضيلة وعوامل النجاح التي بيّنتها الآيات الإلهية الشريفة وبشكل موضوعي، فلا بدّ لنا من الرجوع إلى سيرة (القول والفعل والتقرير) للذين بلغوا مراتب الكمال (المعصومين).

وقد حرصنا في هذا الكتاب على تقديم سرد تاريخي وتحليلي للسيرة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، من أجل رسم صورة واضحة ومشرقة عن الاقتصاد الإسلامي الذي مارسه أمير المؤمنين عليه السلام؛ ليكون نهجاً وسبيلاً أمام جميع الذين يؤمنون بولايته وعظيم مرتبته. وقبل الدخول في صلب الموضوع نجد من الضروري البحث في بعض المفاهيم والمصطلحات والخصوصيات الواردة في هذا الكتاب.

يرى علماء اللغة أنّ للسيرة معانيَ كثيرة منها: النهج، الطريق، السنّة، العادات، الطبائع، الأخلاق، السلوك، المذهب والنظام. ونجد المعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة ضمن تعابير مثل «السيرة النبوية» و«السيرة الذاتية». وعندما نريد من اللفظة الإشارة إلى نوع معين من السيرة، مثل «السيرة السياسية» فإنّها ستنطوي على نوعٍ من التحليل للسلوك والنهج.

ومن هذا المنطلق فإنّ لفظة «السيرة الاقتصادية» المستخدمة في عنوان الكتاب تهدف إلى دراسة تحليلية ـ تاريخية للسلوك الاقتصادي. ولعلّ من خصوصيات هذا المفهوم، تحديد أطره بالسلوك الاقتصادي والظواهر الاقتصادية في حياة الفرد. لذلك فإنّ دراسة الفكر الاقتصادي الذي يستند إليه هذا السلوك خارجة عن نطاق البحث. إذاً، فالكتاب يدور من حيث المبدأ حول دراسة وتحليل الظواهر والحوادث الاقتصادية في حياة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وحسب التقسيمات المتداولة في علم الاقتصاد، فإنّ الموضوع يقع



ضمن مباحث الاقتصاد الجزئي[١]. وتقسّم السلوكيات المرتبطة بهذا الاقتصاد إلى قسمين أساسيين، هما: «سلوك المنتج» و«سلوك المستهلك». وعلى هذا الأساس، فإنّ موضوع البحث سيجري ترتيبه ضمن قسمين، الأول «سيرة الإمام علي عليه السلام في العمل وكسب القوت»، والآخر «سيرة الإمام علي عليه السلام في الاستهلاك وتخصيص الدخل».

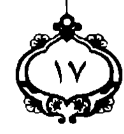
إنّ دراسة السلوك الاقتصادي تشكّل أساس علم الاقتصاد الحديث، ولهذا السبب يرى العديد من علماء الاقتصاد أنّ جوهر علم الاقتصاد هو دراسة هذه السلوكيات. فالنظريات الاقتصادية الحديثة تقوم بتحليل السلوك على فرض أنّ الإنسان العاقل الاقتصادي مدفوع بتأثير المنافع والدوافع الشخصية في الربح فقط. والمنفعة الشخصية للمستهلك تكمن في الحدّ الأقصى من الرضى بالسلعة والخدمات، أمّا المنفعة الشخصية بالنسبة للمنتج فهي الحصول على أعلى نسبة من الأرباح الناتجة عن عملية بيع المنتجات والبضائع[٢].

اليوم وبعد مضيّ أكثر من قرنين على ظهور هذه النظريات وتكاملها التدريجي، نجد أنّ عجزها عن حلّ بعض المشاكل والأزمات الاقتصادية يزداد وضوحاً يوماً بعد يوم. فهي لم تنجح في حلّ المشاكل التي واجهها الإنسان منذ قديم الزمان كالفقر والجهل والظلم والتمييز وانعدام الأمن، لا بل وصل الأمر إلى حدّ تهديد البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وذلك بسبب البذخ والإسراف والإفراط في الاستهلاك والجشع وطلب اللذة في المجتمعات الرأسمالية، ومع ذلك فلا تزال المجتمعات البشرية تفتقد

---

(١) الاقتصاد الجزئي هو فرع من علم الاقتصاد يعنى بدراسة سلوك الوحدات الاقتصادية الصغيرة، مثل الأشخاص والمؤسسات الصغيرة.

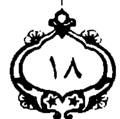
(٢) للمزيد في هذا المجال، راجع: سيد رضا الحسيني، «نقدي بر ديدگاه سرمايه داری در باره انسان اقتصادي» (نقد النظرة الرأسمالية فيما يتعلق بالإنسان الاقتصادي)، مجلة كتاب نقد، العدد ١١، صيف ١٩٩٩ (بالفارسية).



الحلول الغائبة لأزماتها هذه. ويبحث الإنسان اليوم أكثر من ذي قبل عن حالة من الكمال البشري تحقّق له المجتمع المثالي الذي يصبو إليه، وذلك لتنظيم سلوكياته على أساس هذا النموذج المثالي. لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو: هل يمكن الوصول إلى مفهوم عن الإنسان وقواعده السلوكية يضمن له الرفاهية المادية والسموّ المعنوي والعدالة جنباً إلى جنب؟ وهل سبق لمثل هذا المفهوم أنْ تجسّد على أرض الواقع؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، فكيف كان سلوكه الاقتصادي؟

في هذا الكتاب سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال دراسة السيرة الاقتصادية لإمام الإنسانية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. إنّنا إذا اعتبرنا زيادة الإنتاجية بأقل تكلفة إلى جانب التوزيع العادل ومراعاة القوانين، كمعايير أساسية في النجاح الاقتصادي، فلا شك أنّ الإمام علياً عليه السلام يقف على قمة هذا النجاح. فقد بدأ نشاطه الاقتصادي من نقطة الصفر لكنّه وبعد فترة من العمل الجاد واستخدام أنجع السبل واكثرها فاعلية، تمكّن من الحصول على عوائد ومداخيل وفيرة كانت تؤمّن معيشة مئات الأسر والعوائل. وقد شكّل جانباً واحداً من نجاحاته، ولا تكتمل صورة النجاحات إلّا عندما نضع إلى جانبها نهجه في توزيع الدخل الذي يعتبر بحقّ نموذجاً في العدالة والإنسانية.

وتكمن عظمة النجاحات التي قام بها الإمام علي عليه السلام في أنّ الأساس المعرفي الذي قام عليه سلوكه الاقتصادي يختلف تماماً عما نراه اليوم في عالمنا المعاصر. فهو ينظر إلى الإنسان بوصفه عبد الله وخليفته على الأرض، وأنّ سعادته لا تختزل في اللذة والحصول على الحدّ الأقصى من الدخل والربح المادي، بل في كسب رضى الباري عز وجل. لذلك فالقاعدة الأساسية في سلوك الإمام عليه السلام هي الحصول على رضى الله سبحانه وتعالى، فهو يعتبر أنّ العقلانية تكمن في أيّ فعل



يوجب رضى الباري جلّ وعلا، حتى لو كان في ذلك المشقة والأذى، وفي ذلك يقول الإمام الباقر عليه السلام: **«كان يختار من بين فعلين يوجبان مرضاة الله، أكثرهما مشقة وعناءً»**[1].

ولقد بيّن الإمام علي عليه السلام من خلال سيرته أسلوب إعمار الدنيا دون التعلّق بها، فهو الذي علّم البشرية كيفية إقامة المجتمع المثالي المنشود. وأهمية سلوكه بالنسبة للمسلمين نابعة من كون الإمام عليه السلام نموذجاً حيّاً للإنسان الكامل، وتجسيداً رائعاً لتمظهرات القيم الإسلامية، وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال في حقه: **«طريقه هو الصراط المستقيم الذي جعله الله لسعادة الإنسان»**[2].

تتناول هذه الدراسة النجاحات الاقتصادية التي حققها الإمام علي عليه السلام عبر سيرته العملية، ومن خلال ذلك نسعى إلى تقديم نموذج للسلوك الاقتصادي الإسلامي المثالي.

ونختم هذه المقدمة بذكر بعض النقاط العامة الضرورية:

١ ـ بالرغم من الجهود التي بذلناها لاستخراج النصوص التاريخية والروائية، فإنّ ذاكرة التاريخ عجزت عن ضبط وتسجيل النهج الاقتصادي للإمام علي عليه السلام بشكل كامل. ولعلنا نجد هذا العجز والنقص في الفترة التي كان الإمام فيها حبيس بيته، أو ما يعبّر عنها بفترة الاعتزال السياسي. لكن وبالرغم من ذلك، فإنّ في النصوص الموجودة ما يكفي للكشف عن النموذج العملي للإمام عليه السلام.

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٨، ص١٣٠، ح١٠٠؛ الطوسي، الأمالي، ص٦٩٢، ح١٤٧٠.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: **«أنت الطريق الواضح وأنت الصراط المستقيم»**؛ الشيخ الصدوق، الأمالي، ص٣٨٣، ح٤٨٩.



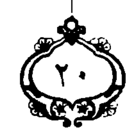
٢ ـ إنّ معرفة حقيقة السلوك الاقتصادي للإمام تحتاج إلى مزيد من الدراسة والمتابعة والبحث، خاصة وإنّنا لا نجد دراسة تلمّ بهذا البعد من شخصية الإمام بشكل مستقل، لذلك فهذا البحث يعتبر مدخلاً لبحوث أخرى تكميلية في هذا المجال.

٣ ـ لعل من الإشكالات التي تثار حول هذا النوع من الدراسات والبحوث، مثاليتها ونموذجيتها وبالنتيجة تعذّر تعميمها على الآخرين من البشر غير الكاملين، وردّاً على هذه الإشكالات، نقول:

أولاً ـ الوصول إلى النماذج المثالية في تحليل السلوك يعتبر من الضرورات العلمية والغرض من ذلك ـ بالنسبة للعلماء ـ ليس التعميم، بل بلورة إطار منطقي لدراسة السلوك وتبعاته.

ثانياً ـ إنّ النموذج المثالي في أيّ عقيدة ومذهب يتم بناؤه على أساس العقائد والقيم التي يرتضيها ذلك المذهب وتلك العقيدة. والإسلام الذي يرى أنّ رسالته الأساسية هي تكامل جميع أبعاد الوجود الإنساني نجد من الضروري أن نقوم بدراسة سلوكيات الأفراد الكاملين مثل الإمام علي عليه السلام للوصول إلى هذا النموذج الكامل، خاصة وأنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وصف الإمام في أحاديثه بألقاب وعناوين مثل: «إمام المسلمين» و«سيد المسلمين» و«يعسوب الدين» و«خير البشر».

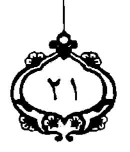
ثالثاً ـ الحالات التي لا يمكن تعميمها من سلوك الإمام عليه السلام إمّا أن تكون قد أشار إليها هو نفسه وبشكل صريح، أو أن يكون بالإمكان الكشف عنها من خلال مقارنتها بأفكار وأحاديث الإمام. وهذه القضية لم تغب عن بالنا ـ قدر المستطاع ـ طيلة صفحات بحثنا هذا.

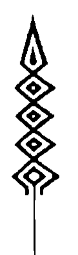




٤ ـ من أجل استخراج نموذج إسلامي مثالي من السلوك الاقتصادي للإمام علي عليه السلام، لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار قضايا من قبيل تأثير الزمان والمكان والظروف الاجتماعية في السلوكيات الخاصة بالإمام عليه السلام. لذلك ومن أجل مراعاة هذه القضايا، جرت خلال البحث مقارنة سلوك الإمام عند الضرورة بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام أو بما ورد عنه عليه السلام في موارد أخرى.







الفصل الأول

دراسة تاريخية لسيرة الإمام علي عليه السلام في الإنتاج وكسب القوت

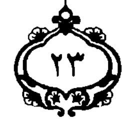
شهدت حياة الإمام علي عليه السلام فترات مختلفة وظروفاً متفاوتة. وبطبيعة الحال، فإنّ سيرته الاقتصادية، خاصة في مجال الإنتاج وكسب قوته اليومي، مرّت بتلك الظروف المتغيّرة. ولقد كان لهذا الأمر أوجه عديدة، لذلك سوف نبحث في سيرته الاقتصادية من خلال دراسة الأدوار التي مرّت بها حياته الشريفة.

١ ـ من الولادة حتى الهجرة

ولد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد ثلاثين سنة من عام الفيل وذلك في الكعبة المشرفة بمكة المكرمة[1]. وقد اقترنت ولادته مع ظهور بشائر الرسالة وتجلياتها في الحجر والشجر ومشاهدة الأنوار السماوية. لذلك كان الرسول صلى الله عليه وآله يصف تلك السنة بأنها عام الخير والبركة لأنها شهدت هذين الحدثين المهمين.

---

(١) محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج١، ص٧١و٧٢.



كان أبو طالب والد الإمام علي عليه السلام، وشيخ بني هاشم بعد عبد المطلب جدّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وكان يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة، إلّا أنه كان يعاني ضيق المعيشة. وقد اشتدت الظروف الاقتصادية على أبي طالب في السنوات الأولى من عمر الإمام عليه السلام بسبب شدّة الجفاف، لذلك عرض الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أن يتكفّل كل واحد من إخوة أبي طالب بأحد أبنائه، وقد تكفّل هو بعلي عليه السلام، وبهذا الشكل وكما اقتضت إرادة الباري عزوجل، نشأ الإمام علي عليه السلام في حجر الرسول صلى الله عليه وآله[1]. فكان علي عليه السلام ملازماً للرسول الكريم صلى الله عليه وآله الذي بُعث في خضمّ تلك الأحداث. وبعد الجهر بالدعوة كان علي عليه السلام أوّل من آمن به ودافع عنه وعن حياض الإسلام.

وفي الفترة بين عام البعثة حتى الهجرة، شارك الإمام علي عليه السلام المسلمين الأوائل في تحمّل المشاقّ والصعاب إلى جانب الرسول صلى الله عليه وآله، وكان همه الأول حينذاك التقليل من تلك الصعاب التي كانوا يواجهونها، وتحقيق أهداف الإسلام. وكانت مسألة الحصار الاقتصادي الذي فُرض على المسلمين، واحدة من أقسى حوادث تلك الفترة، حيث جرت محاصرتهم في شِعب أبي طالب. واستمر الحصار ثلاث سنوات، حيث كان المشركون قد تعاهدوا في دار الندوة على الامتناع عن التعامل والمتاجرة والبيع والشراء مع المسلمين. وقد مات العديد من المسلمين جوعاً على أثر الحصار المذكور، وكانت صرخات الأطفال تثير مشاعر حتى بعض المشركين[2]. لذلك كانوا يرسلون المعونات إلى المسلمين في الخفاء.

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٩١ ـ ٩٥.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص٧٤.



ولقد تجلت ذروة التضحية التي قدمها الإمام علي عليه السلام في هذه الفترة. في ليلة المبيت[1]، وبعد أن علم المشركون بنيّة الرسول صلى الله عليه وآله بالهجرة من مكة تآمروا على قتله في تلك الليلة. وقد أطلع الله عزوجل رسوله الكريم على هذه المؤامرة المشؤومة. لكن المشركين الذين أدركوا خطورة هجرة الرسول من مكة إلى المدينة، ضربوا طوقاً محكماً حول مكة للحيلولة دون خروج الرسول صلى الله عليه وآله؛ فكان خروجه يحتاج إلى خدعة وخطة محكمة. وفي تلك اللحظات الحرجة فكّر الرسول صلى الله عليه وآله بأن يخلف أحداً في بيته لإيهام المشركين بوجوده في البيت، ليتسنّى له ترك مكة خلال ذلك. وكان نجاح الخطة رهناً بوجود شخص على درجة عالية من التضحية، مستعدّ لتقديم حياته قرباناً للحفاظ على حياة الرسول صلى الله عليه وآله وكسب رضى الله عزوجل. وبالطبع، فإنّ القبول بهذا الدور يحتاج إلى مستوى عالٍ من الإيمان والشجاعة لا تجدها في أيّ كان. لقد كانت هذه التضحية بمستوى جعلت الملائكة تتباهى بها.

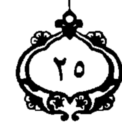
نام الإمام علي عليه السلام في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله فسجّل لنفسه منقبة لم يحصل عليها غيره، وقد ثبتها له الباري عزوجل في القرآن الكريم حينما قال جل اسمه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[2].

لم نجد إشارات واضحة وخاصة في النصوص التاريخية على نشاط اقتصادي محدد للإمام علي عليه السلام في هذه الفترة، وكل ما كان يشغل الإمام ويهمّه في هذه الفترة من حياته هو تحمّل الصعاب والمشاق إلى حدّ التضحية بنفسه من أجل رضى الباري عزوجل. وهو ما يمكن أنْ

---

(١) ليلة المبيت: هي الليلة التي نام فيها الإمام علي عليه السلام في فراش النبي ليلة خروجه صلى الله عليه وآله من مكة مهاجراً إلى المدينة، بعد أنْ حاصرت بيته ومكة قريش بهدف قتله والحيلولة دون خروجه منها.

(٢) البقرة (٢): ٢٠٧.



نصفه بالجهاد الثقافي والسياسي للإمام، لكن الجانب الاقتصادي في كفاح الإمام عليه السلام سيظهر خلال الفترات التالية.

٢ ـ من الهجرة حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله:

عندما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة، كان الإمام علي عليه السلام في الرابعة والعشرين من عمره. ولأن الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها المسلمون في هذه الفترة شهدت تحوّلات كثيرة إضافة إلى الظروف الجغرافية والطبيعية الموجودة في المدينة، لذلك نرى دخول الإمام تدريجياً إلى ساحة الحياة الأسرية وبداية نشاطه الاقتصادي.

بعد أن تزوّج علي عليه السلام بالسيدة الزهراء عليها السلام في السنة الأولى للهجرة، سألا الرسول صلى الله عليه وآله عن كيفية تقسيم العمل الأسري بينهما. فأوكل الرسول صلى الله عليه وآله إلى السيدة الزهراء عليها السلام شؤون البيت، مثل: التنظيف والطبخ والطحن والعجن والخبز؛ أمّا الشؤون الخارجية، مثل: جلب الحطب والماء وكسب القوت اليومي فأوكل بها إلى الإمام علي عليه السلام[١]. مع ذلك كان الإمام يساعد الزهراء عليها السلام في بعض شؤون البيت[٢]. كما كانت هي عليها السلام تساعده أحياناً في أعماله. وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يحتطب ويستقى ويكنس وكانت فاطمة سلام الله عليها تطحن وتعجن وتخبز»[٣].

---

(١) أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري: قرب الإسناد، ص٥٢، ج١٧٠؛ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص٨١، ح١؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٦، ص١٠٤؛ محمد بن مسعود العياشي: تفسير العياشي، ج١، ص١٧١، ح٤١.

(٢) راجع: أبا الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ج٢، ص٢٣٠.

(٣) محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٥، ص٨٦، ح١؛ الشيخ الصدوق: كتاب من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص١٦٩، ح٣٦٤٠؛ ابن أبي جمهور: عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج٣، ص٢٠٠، ح٢٠.



وينقل الشيخ الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لرجل من قبيلة بني سعد: «ألا أحدثك عني وعن فاطمة الزهراء أنها كانت عندي فاستقت بالقِربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها»[1].

مصادر دخل الإمام علي عليه السلام في هذه الفترة:

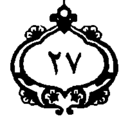
إنّ دراسة طرق الحصول على الدخل وتأمين نفقات الحياة، تعدّ من أهمّ مباحث اقتصاد الأسرة. وحسب ما جرى من تقسيم للعمل من قبل النبي صلى الله عليه وآله، فإنّ تأمين القوت اليومي كان على عاتق الإمام عليه السلام. ولم يكن القيام بهذه المهمة في السنوات الأولى لزواج الإمام عليه السلام أمراً سهلاً، خاصة وأنه سلام الله عليه لم يكن يملك رأسمال للعمل، وكان يقضي جلّ وقته في مهمّة الدفاع عن كيان الدولة الإسلامية الفتية. ولعلّ التضحيات التي قدمتها أسرة الإمام وبساطة عيشهم كان العامل الأساس في تسهيل صعوبات تلك الفترة. ولأننا سنبحث نموذج الإنفاق في أسرة الإمام عليه السلام لاحقاً، سنكتفي هنا بالحديث عن سبل كسب القوت اليومي فقط.

يمكن تقسيم مصادر دخل الإمام في هذه الفترة إلى عدّة أقسام، هي:

أولاً ـ الهدايا والهبات التي كان الناس يقدّمونها: كان المسلمون في المدينة يتشكلون من مهاجرين وأنصار. والمهاجرون هم الذين تركوا كل ما يملكون في مكة وهاجروا مع النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة، لذلك كانوا يعانون ظروفاً صعبة من الناحية الاقتصادية. أمّا الأنصار فهم المسلمون من أهل المدينة (يثرب) الذين كانوا يعيشون حالة يسار وبحبوحة. ولقد

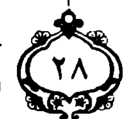
---

(١) الشيخ الصدوق: كتاب من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣٢٠، ح٩٤٧؛ راجع: أحمد بن حنبل: المسند، ج١، ص٣٢٢، ح١٣١٢.



سمّوا بالأنصار لأنهم نصروا إخوتهم المهاجرين بتوجيه من رسول الله ﷺ وقاسموهم أموالهم وممتلكاتهم. وكان الإمام علي عليه السلام من المهاجرين. ومن أجل توطيد أواصر العلاقات الاجتماعية ومساعدة المهاجرين اقتصادياً، آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار فجعل لكل واحد من المهاجرين أخاً من الأنصار. أما هو فقد آخى بينه وبين الإمام علي عليه السلام، لذلك لم يكن للإمام علي عليه السلام من يعينه اقتصادياً من الانصار، على خلاف غيره من المهاجرين. ولقد لعبت الهبات والهدايا والمساعدات التي قدمها الأنصار دوراً حاسماً في تمشية الأمور المعاشية للمهاجرين خلال السنوات الأولى من الهجرة. واستمرّ هذا الوضع نسبياً حتى توسعت الفتوحات الإسلامية فوصل المهاجرون إلى درجة من الاكتفاء الذاتي النسبي. ولأن مؤاخاة الرسول ﷺ كانت للإمام عليه السلام فقد ارتبطت حياتهما بشدة مع بعضها في تلك الفترة، لذلك كانت الهبات التي يقدمها أهل المدينة إلى الرسول ﷺ أحد موارد الدخل بالنسبة للإمام علي عليه السلام. وفي المقابل أيضاً كان الإمام عليه السلام يقدم للرسول ﷺ بعض ما يحصل عليه[1].

ثانياً ـ النشاطات الاجتماعية: كما أشرنا من قبل، خلال فترة حياة النبي ﷺ كان الشاغل الأهم للإمام علي عليه السلام هو المشاركة في نشاطات الجهاد والقيام بالمهام الخاصة الموكلة إليه من قبل الرسول ﷺ. ولم تكن هذه النشاطات تدرّ عليه أيّ دخل اقتصادي، بل كان الهدف منها الامتثال للأمر الإلهي والدفاع عن الإسلام وتحقيق أهدافه، لذلك لم يستلم الإمام على أيّ منها أجراً مادياً، ولم تصلنا رواية عن تحصيله بإزائها مالاً، لكنّ بعض تلك النشاطات كان لها مدخولات غير متوقعة.



(١) راجع: السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج١، ص٢٦٦ ـ ٢٦٨.

ولعلّ الغنائم الحربية هي أحد موارد الدخل وأهمها. حيث كان الرسول ﷺ يقوم عادة بتقسيم غنائم الحرب بين المجاهدين بعد أن يقتطع منها النفقات والخمس. ولمّا كان الإمام علي ﷺ واحداً من المشاركين في جميع غزوات الرسول ﷺ عدا غزوة تبوك ـ التي خلّفه الرسول فيها على المدينة ـ[1]؛ لذا فقد كانت الغنائم أحد أهم موارد الدخل للإمام بعد السنة الثانية للهجرة. وعلى الرغم من أنّ عائدات الغنائم لا يمكن مقارنتها بما كان يحصل عليه المجاهدون في العقدين الثاني والثالث الهجريين، إلّا أنّها مع ذلك كانت تسدّ الرمق آنذاك. فعندما خرج جيش الرسول ﷺ الذي لم يتجاوز تعداده الـ(٣١٣) نفراً من المدينة لقتال المشركين في غزوة بدر، وبعد أن شاهد وضعهم المزري وضعف إمكانياتهم الاقتصادية، دعا لهم بتحسين أوضاعهم، فقال ﷺ:

«اللهمَّ إنّهم حفاة فاحملهم، اللهمَّ إنّهم عراة فاكسهم، اللهمَّ إنهم جياع فأشبعهم»[2].

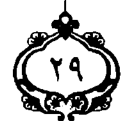
وحسب بعض المصادر، بعد دعاء الرسول ﷺ أنزلَ الله النصر على المسلمين في يوم بدر، بحيث إنهم وعند رجوعهم من المعركة، لم يكن بينهم أحد إلا وقد غنم ناقة أو اثنتين، وقد نجا جميعهم من الجوع والعري[3]. وحسب بعض الروايات، فإنّ الإمام عليّاً ﷺ قال: «كان لي

---

(١) راجع: محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٩، ص٤٣٤، وج ١، ص٢٥٩.

(٢) أبو داوود سليمان بن أشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داوود، ج٢، ج٣، ص٧٩؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص١٣٢ و١٤٥؛ محمد بن سعد كاتب الواقدي: طبقات الكبرى، ج٢، ص٣٠ ج٣، ص٧٩؛ وكذلك راجع: الواقدي المغازي.

(٣) المصدر نفسه.



شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شارفاً من الخمس»[١].

وفي السنوات التالية، اتّسعت الفتوحات الإسلامية، وكان لتقسيم الغنائم الحربية تأثير جيد في تحسين الوضع المعاشي للإمام علي عليه السلام.

ومن النشاطات الاجتماعية الأخرى للإمام، المهام الخاصة التي كانت توكل إليه من قبل الرسول ﷺ، ولم تكن تخلو من المساعدات المالية كما درجت عليه سيرته ﷺ، وإحدى تلك المهام إرسال الإمام علي عليه السلام إلى بلاد اليمن لدعوة أهلها إلى الإسلام[٢]، ومن ثم تولّيه القضاء هناك[٣]. وقد ورد في بعض الروايات حديث عن مهمّته لجمع الخمس عن المعادن في تلك البلاد[٤]. ومن المهام الأخرى التي قام بها تحطيم أصنام الطائف[٥]، ودفع غرامة لقبيلة بني جذيمة الذين أغار عليهم خالد بن الوليد وقتل عدداً منهم[٦]، ومهمة إعلان البراءة من المشركين في مراسم الحج[٧].

ثالثاً ـ الخمس والفيء[٨]: الهدف من الزكاة في النظام المالي

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٣، ص١١٢٥، ح٢٩٦٥؛ ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ج٣، ص١٣٢، ح١٩٧٩؛ أحمد بن حنبل: المسند، ج١، ص٢٩٩، ح١٢٠٠.

(٢) محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج١، ص٢٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٩.

(٤) راجع: أبا بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني: المصنف، ج٤، ص١١٦، ح٧١٧٩؛ أبا الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ج٣، ص٧٤١، ح١٤٣.

(٥) محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج١، ص٢٦٥.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٦٦.

(٧) المصدر نفسه. ص٢٦٨.

(٨) الفيء، هو المال الذي يحصل عليه المسلمون من الكفار والمشركين دون قتال.



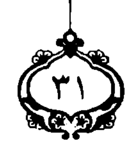
الإسلامي، مساعدة الأغنياء للفقراء، وبسبب حرمة الزكاة على بني هاشم، كان الإمام علي عليه السلام محروماً منها. ومن أجل سدّ حاجة المعوزين من بني هاشم فقد رصد المشرّع الإسلامي موارد تمويل أخرى لهم، مثل الخمس والفيء. فالخمس كما هو واضح من اسمه، يشكل (٢٠٪) من الأموال التي يتم الحصول عليها من موارد معينة، مثل الغنائم الحربية والمعادن المستخرجة، أما الفيء فهو الأموال التي يتم الحصول عليها من المشركين بدون قتال أو فتوحات. وحسب ما ورد في نص القرآن الكريم، فأن أحد موارد صرف الخمس والفيء هم أقرباء الرسول الكريم صلى الله عليه وآله[(١)]. وكان النبي يقوم باقتطاع خمس الغنائم فيعطي جزءاً منه إلى أقربائه من بني هاشم وبني عبد المطلب[(٢)]. كما فعل في غزوة بدر حيث أعطى الإمام علياً عليه السلام ناقة من الخمس[(٣)].

وقام النبي صلى الله عليه وآله بتوزيع غنائم بني النضير التي حصل عليها دون قتال بين المهاجرين الأولين ومنهم الإمام علي عليه السلام واثنان من الأنصار. وقد كانت أرض فدك أحد موارد الفيء التي نحلها الرسول صلى الله عليه وآله ابنته

(١) ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. [الأنفال: ٤١]؛ ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

(٢) راجع: ابن أبي جمهور: عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج٣، ص١٢٨، ح١٠؛ أبا عبيد القاسم بن سلام الروسي الهروي: الأموال، ص٣٣٦، ٨٣٦؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٣١٢؛ عماد الدين أبو الفداء ابن كثير الدمشقي: السيرة النبوية، ج٢، ص٤١٤.

(٣) راجع: أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٣، ص١٢٥، ح٢٩٦٥؛ أبا الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ج٣، ص٥٦٨، ح١٩٧٩؛ أبا داوود سليمان بن اشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داوود، ج٣، ص٤٩، ح٢٩٨٦.



فاطمة عليها السلام، إذ حصل عليها بعد معركة خيبر دون قتال، لذلك تعدّ من الفيء والأموال الخاصة به، وقد ورد في روايات أهل السنّة أيضاً:

«لما نزلت هذه الآية ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1] دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فنحلها فدكاً»[2].

ويقول الإمام في نهج البلاغة حول هذا الموضوع: «**بلى كانت في أيدينا (فدك) من كل ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله....**»[3].

إضافة إلى ذلك، فقد جعل النبي صلى الله عليه وآله جزءاً من أمواله وقفاً لفاطمة عليها السلام. وقد أورد الكليني أسماء تلك الموارد السبعة التي كانت بساتين في أطراف المدينة، وهي: الدلال، العواف، الحسنى، الصافية، مال أم إبراهيم، الميثب والبرقة[4].

رابعاً ـ الإقطاع[5]: الدولة الإسلامية، وفقاً للنظام المالي في الإسلام، لها ملكية الثروات الطبيعية مثل: الموات من الأرض والمناجم. وكان الإقطاع (التحويل إلى القطاع الخاص) أحد أساليب إدارة هذه الثروات في عصر صدر الإسلام. وقد ذكرت كتب التاريخ

---

(١) الإسراء (١٧): ٢٦.

(٢) جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور، ج٥، ص٢٧٣؛ الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ح٨٦٩٦؛ محمد بن مسعود العياشي: تفسير العياشي، ج٢، ص٢٧٨.

(٣) نهج البلاغة، ترجمة السيد جعفر شهيدي، رسالة ٤٥، ص٣١٧؛ أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري: قرب الإسناد، ص٣٦٣، ح١٣٠١؛ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٢٢، ص٢٩٦، ح٢.

(٤) محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٧، ص٤٧، ح١؛ أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري: قرب الإسناد، ص٣٦٣، ح١٣٠١؛ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٢٢، ص٢٩٦، ح٢.

(٥) الإقطاع، أحد المفاهيم القانونية الخاصة بالأراضي، وتعني أنّ الخليفة يقتطع (يعطي) أرضاً إلى شخص معين للاستفادة منها.



موارد متعددة قام الرسول ﷺ فيها بإعطاء بعض المعادن أو الأراضي إلى أصحابه، طبقاً لمبدأ الإقطاع، ومن تلك الموارد إعطاء الإمام علي عليه السلام بعض الأراضي. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ النبي ﷺ أقطع علياً عليه السلام أربع أرضين[1]: الفقيرين، وبئر قيس والشجرة»[2].

وقد أشارت بعض الروايات إلى أنّ النبي أقطع علياً بعض الأراضي في منطقة «ينبع»[3].

خامساً ـ العمل: كما أشرنا من قبل، فإنّ الجزء الأكبر من نشاط الإمام علي عليه السلام خلال فترة حياة الرسول ﷺ كان ثقافياً وسياسياً (وعسكرياً)، ولم يكن الهدف من تلك النشاطات الحصول على الدخل، لكنّ ضيق العيش كان يجبر الإمام أحياناً على دخول ساحة العمل الاقتصادي. يقول أبو نعيم الأصفهاني: «كان علي عليه السلام إذا لزمه من العيش الضيق والجهد، أعرض عن الخلق، فأقبل على الكسب والكدّ»[4].

ففي بداية الهجرة حيث كان هناك شظف واضح في العيش، ولم يكن للإمام حينها أرض يعمل عليها، كان يعمل أجيراً[5]، وتنقل لنا كتب السيرة العديد من هذه النشاطات التي قام بها الإمام، وفي رواية

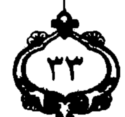
(١) هاتان الأرضان، كانتا في المنطقة العليا من المدينة وبالقرب من بني قريظة، وهي جزء من موقوفات الإمام علي عليه السلام. راجع في ذلك: محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٩، ص٣٧٩.

(٢) السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٢، ج٤، ص١٢٨٢؛ محمد باقر المجلسي: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج٢٣، ص٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٣٤.

(٤) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١، ص٧٠.

(٥) المقاطعة، نوع من مواثيق العمل، يجري على أساسه تحديد أجرة العامل طبقاً لحجم العمل المنجز من قبله وليس بحساب أيام العمل أو الفترة التي يستغرقها.



عن محمد ابن كعب القرظي، ينقلها ابن شهرآشوب من عدة طرق، جاء فيها:

«إنّه رأى أمير المؤمنين أثر الجوع في وجه النبي فأخذ إهاباً فحوى وسطه وأدخله في عنقه وشدّ وسطه بخوص نخل وهو شديد الجوع، فأطلع على رجل يستقي ببكرة فقال: هل لك في كل دلوة بتمرة؟ فقال: نعم، فنزح له حتى امتلاء كفه ثم أرسل الدلو فجاء بها إلى النبي ﷺ»[1].

وحول هذا الموضوع يقول الإمام علي عليه السلام:

«جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت قدراً، فظننتها تريد تلة، فأتيتها فقاطعتها كل ذنوب على ثمرة، فمددت ست عشرة ذنوباً حتى مجلت يداي، ثم أتيت الماء. فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت بكفّيّ هكذا بين يديها، فعدت لي ست عشرة ثمرة فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فأكل معي منها»[2].

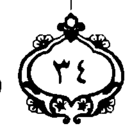
وفي السنوات التالية حصل الإمام على بعض الأراضي في أطراف المدينة، فكان يزرعها. وفي هذه الفترة عرف الإمام عليه السلام بلقب «ابي تراب»، وهو دليل على اهتمام الإمام بالعمل في الأرض. وينقل لنا الشيخ الصدوق في علل الشرائع عن ابن عمر، فيقول:

بينما أنا مع النبي ﷺ في نخيل المدينة وهو يطلب عليّاً عليه السلام إذا

---

(١) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص١٢٥؛ راجع: البيهقي: سنن الكبرى، ج٦، ص١٩٧، ح١٦٦٤٩؛ الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج٦، ص٦١٨، ح١٧١١١؛ ابن ماجة القزويني: سنن ابن ماجة، ج٢، ص٨١٨، ح٢٤٤٦ و٢٤٤٨؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: فضائل الصحابة، ص١٦٤.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند، ج١، ص٢٨٦، ح١١٣٥.



انتهى إلى حائط، فاطلع فيه فنظر إلى علي عليه السلام وهو يعمل في الأرض وقد اغبرّ فقال: «ما ألوم الناس إن يكنّوك أبا تراب»[1].

٣ ـ من وفاة النبي حتى الخلافة:

ارتحل النبي الكريم إلى الرفيق الأعلى في السنة الحادية عشرة للهجرة. وبوفاة الرسول صلى الله عليه وآله بدأت مرحلة جديدة من حياة الإمام. وبنظرة إجمالية يمكن القول إنّ جهاز الدولة الجديد، لم يكن يرغب في استمالة الإمام والاستفادة من علمه. كما أنّ إمكانيات الإمام كانت أكبر بكثير من أن يستطع الحاكمون آنذاك استيعابها، لذلك تحول نشاط الإمام خلال فترة الـ ٢٥ سنة من الجهاد المسلح والسياسي إلى النشاط الاقتصادي، فقدم للبشرية نموذجاً اقتصادياً رائعاً. وفي هذا الجزء من الكتاب سنقوم بتقسيم حياة الإمام في هذه الفترة إلى عدة أقسام:

١ ـ ٣ ـ التحول في الدخل العام للإمام:

لعل أبرز ما وقع في هذه الفترة ـ في السيرة الاقتصادية للإمام عليه السلام ـ هو أنّ الخليفة الأول (أبا بكر) قام بقطع سهمه من ذوي القربى ومن الخمس وقد استمر ذلك لاحقاً. وحول هذا الموضوع يقول ابن عباس:

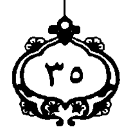
«إنّه كان على ستة أسهم لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر عنه الخمس على ثلاثة، وكذلك روي عن عمر»[2].

وعلى هذا، لم يكن للإمام أية حصة من الخمس بعد

---

(١) الشيخ الصدوق: علل الشرائع، ص١٥٧، ح٤؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني: المعجم الكبير، ج١٢، ص٣٢١، ح١٣٥٤٩.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف، ج٢، ص١٢٧؛ ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج١٢، ص٢١٩؛ راجع: أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: سنن النسائي، ج٧، ص١٣٣.



رسول الله ﷺ، كما قطعت حصة الإمام من غنائم الحرب، لأن الخليفة الثاني (عمر) قرر عدم إشراك بعض الخواص من صحابة رسول الله ﷺ في الجهاد، مثل: الإمام علي عليه السلام وطلحة والزبير وابن عباس، وبالطبع لن يكون لهم حصة في غنائم الحرب[1]. وبالنسبة للفيء أيضاً كان الأمر على هذا المنوال، حتى أنّ أبا بكر صادر أراضيَ فدك التي نحلها الرسول ﷺ ابنته فاطمة كفيء، ولم يلتفت إلى الحجج والأدلة التي ساقتها للحصول على حقها[2].

هذه التطورات تشير إلى حقيقة واضحة وهي أنّ جهاز الخلافة كان يتخوف من قوة الإمام علي عليه السلام اقتصادياً، لذلك عمد إلى تجفيف مصادر دخله بطرق وأساليب مختلفة. وبالطبع بعد أنِ استقرت خلافة عمر لم تكن هناك ضرورة للاستمرار في هذه السياسات، لذلك جرى تعديلها بعض الشيء.

وبعد أنِ ازدادت عوائد الخراج، قرر عمر تأسيس الديوان وبيت المال، وحدد لكل واحد من المهاجرين والأنصار وأبنائهم (ماعدا الرضع) عطاءً سنوياً. فكانت حصة الإمام علي عليه السلام من ذلك، كغيره من المهاجرين، خمسة آلاف درهم سنوياً.

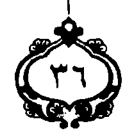
وكان النبي ﷺ قد قسم أراضيَ خيبر إلى ست وثلاثين حصة؛ ثماني عشرة منها للمسلمين، وكل حصّة مقسمة إلى مائة حصة فرعية، وكانت إحدى الحصص الثماني عشرة مخصّصة للإمام علي عليه السلام وشيعته[3].

---

(١) رسول جعفريان: تاريخ سياسي إسلام، ج٢، ص٧٢.

(٢) راجع: أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٤، ص١٥٤٩، ح٣٩٩٨؛ محمد بن سعد كاتب الواقدي: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣١٥؛ الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ح١٤١٠١؛ نهج البلاغة، رسالة ٤٥.

(٣) راجع البيهقي: السنن الكبرى، ج٦، ص٣٥؛ أبا بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني: المصنف، ج٧، ص٦١٤، ح٥.



ويسبب عجز المسلمين عن استثمار هذه الأراضي بشكل جيد في عهد الرسول ﷺ، فقد تولّى أصحابها الأصليون من اليهود شؤونها على أساس «المزارعة»[1]. وكان على اليهود أنْ يعطوا المسلمين نصف المحصول سنوياً، وأنْ يتركوا الأرض اذا طلب منهم المسلمون ذلك. وقد استمر الوضع على هذا المنوال حتى خلافة عمر، الذي قام بإخراج اليهود من الأراضي وقسّمها بين المسلمين. وقد حدّدت حصة الإمام علي عليه السلام في منطقة من خيبر تدعى «الشق»، وذلك بحسب ما وقعت عليه القرعة[2].

وحسب بعض الروايات، فإنّ منطقة «وادي القرى»[3] فتحت في السنة السابعة للهجرة بالطريقة نفسها التي فتحت بها خيبر، وتولى إدارتها اليهود حسب اتفاق مشابه. لكن في خلافة عمر أعيدت إلى المسلمين وكانت للإمام حصة منها أيضاً[4].

٢ ـ ٣ ـ النشاطات العمرانية للإمام في ينبع:

أهمّ النشاطات الاقتصادية التي قام بها الإمام عليه السلام خلال فترة الخلفاء الثلاثة كانت في منطقة ينبع. وينبع اسم منطقة تبعد ١٦٥ كلومتراً غرب المدينة المنورة، على ساحل البحر الأحمر. أما سبب تسميتها ينبع فهو كثرة عيون الماء فيها، وقد أحصى بعضهم عدد تلك العيون بحوالي ١٧٠ عيناً. وسكنة ينبع غالباً من الجُهَينة وبني ليث والأنصار. وبعد

---

(١) المزارعة، عقد عمل ومشاركة بين الفلاح وصاحب الأرض لفترة معينة وحسب حصص توافقية بين الطرفين.
(٢) أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص١٩٠.
(٣) هي أرض تقع بين المدينة والشام فيها الكثير من القرى كان أغلب سكانها في فترة الفتح من اليهود. (راجع في ذلك: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٩٠).
(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٥.



استشهاد الإمام علي عليه السلام صارت المنطقة من حصة أبناء الإمام الحسن، وقد امتزج اسم ينبع في كتب التاريخ والسيرة والجغرافيا باسم الإمام علي عليه السلام، بحيث لا نجد كتاباً يتحدث عن هذه المدينة دون ذكر الإمام علي عليه السلام، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنّه حتى تسميتها بـ«ينبع» كانت للإمام. يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«قسم نبي الله صلى الله عليه وآله الفيء فأصاب عليٌّ عليه السلام أرضاً فاحتفر فيها عيناً فخرج ماء ينبع في السماء كهيئة عنق البعير فسماها ينبع»[1].

وفيما يتعلق بكيفية بسط الإمام سلطته على المنطقة، فهناك أحاديث كثيرة، منها ما ينقله ابن شبة في تاريخ المدينة المنورة، إذ يقول:

«فلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ينبع، أقطعها لـ كُشد ابن مالك الجهني، فقال: يا رسول الله، إني كبير، ولكن أقطعها لابن أخي. فقطعها له، فابتاعها منه عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري بثلاثين ألف درهم، فخرج عبد الرحمن إليها فرمى بها وأصابه ساقيها وريحها، فقدرها، وأقبل راجعاً، فلحق علي بن أبي طالب عليه السلام بمنزل وهي بلية دون ينبع، فقال: من أين جئت به؟ فقال: من ينبع، وقد شنفتها، فهل لك أنْ تبتاعها؟ قال علي: قد أخذتها بالثمن، قال: هي لك فخرج إليها علي عليه السلام»[2].

وفي رواية أخرى عن عمار بن ياسر، يقول:

«أقطع النبي صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بذي العشيرة[3] من ينبع، ثم أقطعه عمر

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٧، ص٥٤، ح٩.

(٢) أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٢١٩.

(٣) منطقة في ينبع بين مكة والمدينة فتحها النبي صلى الله عليه وآله في العام الثاني للهجرة. واصل الكلمة (عشَر) أي الشجرة الكبيرة التي يخرج منها صمغ حلو المذاق كالسكر. (راجع في ذلك: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٢٧؛ أبا الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج٣، ص٢٤٦).



بعد ما استخلف قطيعة واشترى علي إليها قطيعة، وكانت أموال علي بينبع عيوناً متفرقة تصدق بها»[1].

وفي كتاب معجم البلدان وردت رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أقطع النبي صلى الله عليه وآله، علياً عليه السلام أربع أرضين: الفقيران وبئر قيس والشجرة وأقطع عمر ينبع وأضاف إليها غيرها**»[2].

ونجد في هذه الروايات ثلاث طرق في حصول الإمام على الأرض في ينبع، وبالنظر إلى سعة الأرض التي كان الإمام يملكها في ينبع، يمكن القبول بمضمون رواية عمار بن ياسر حول الحصول على كل واحدة من هذه الأراضي بواحدة من الطرق المذكورة. ويظهر أنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان على علم بهذه المنطقة جيداً منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله، كما ورد على لسان عمار بن ياسر:

«أنا وعليٌّ رفيقان في غزوة ذي العشيرة[3]، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وآله وقام بها رأينا ناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي: يا أبا اليقظان هل لك أن تأتي هؤلاء فتنظر كيف يعملون؟ فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعليٌّ فاضطجعنا في صور من النخل في دقعاء من التراب فنمنا، فوالله ما أهبنا إلا ورسول الله صلى الله عليه وآله يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: يا أبا تراب، لما يرى عليه من التراب»[4].

---

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج ١، ص٢٢١.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٠؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٥٠؛ محمد ابن يعقوب الكليني: الكافي، ج٧، ص٥٤، ح٩؛ الطوسي: تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، ج٩، ص١٤٨، ح٦٠٩.
(٣) وقعت هذه الغزوة في جمادى الأولى من العام الهجري الثاني وقبل معركة بدر. (راجع: أبا الفداء إسماعيل بن عمر كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج٣، ص٢٤٦).
(٤) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: فضائل الصحابة، ج٢، ص٦٨٧،=

ويقول ابن شبة: لما أشرف علي عليه السلام على ينبع نظر إلى جبالها فقال: «**لقد وضعت على نقي من الماء عظيم**»[1].

ليست هناك معلومات دقيقة عن بداية إقامة الإمام في ينبع، لكنّ الشواهد التاريخية تشير إلى أنّه أقام فيها منذ بداية عهد الخلفاء، واستمر هناك حتى الفترة التي سبقت خلافته عليه السلام. وحول ذلك يقول أحمد بن الضحاك:

«قال أبو فضالة وهو من أهل بدر: خرجت مع أبي عائداً لعلي ابن أبي طالب بينبع في مرض أصابه ثقل منه فقال له أبي: وما يقيمك بمنزلك هذا؟ لو أصابك أجلك لم يلك إلا أعراب جهينة تحمل إلى المدينة؛ فإنْ أصابك أجلك وليك أصحابك وصلّوا عليك فقال علي: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليَّ أن لا أموت حتى أؤمر، ثم تخضب هذه يعني لحيته من دم هذه يعني هامته، فقتل وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين»[2].

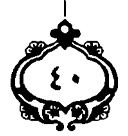
وعندما قام الناس في أواخر عهد عثمان، كان الإمام لا يزال في ينبع. ولما أراد الإمام إصلاح الوضع وإعادة الهدوء إلى المدينة عارض الخليفة دخوله المدينة، فعاد الإمام إلى ينبع. وبعد أنْ ثارت الفتنة، طلب عثمان من الإمام المجيء إلى المدينة لتهدئة الوضع، إلا أنّه ما لبث أنْ طلب منه العودة إلى ينبع بعدما رأى التفاف الناس حوله وقد كرر هذا العمل مرات عديدة[3].

=ح١١٧٢؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٥١، ح٤٦٧٩.

(١) أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٢٢١.

(٢) السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص١٣٣٤.

(٣) راجع: محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٣، ص٢٦٣ و٢٦٤.نهج البلاغة، خطبة ٢٤٠.



يقال: إنّ أول عين ماء أحياها الإمام في ينبع كانت تسمى «بغيبغات» وهي بدورها تشتمل على عدة عيون بأسماء: خيف الأراك[1]، خيف ليلى وخيف بسطاس. ويشبه ابن شبة كثافة نخل المنطقة بالخليج فيقول: «فيها خليج من النخل مع العين»[2].

إضافة إلى ذلك، قام الإمام علي ﷺ بإعمار الكثير من بساتين النخيل والعيون في ينبع. ويورد ابن شبة ملخصاً لأموال الإمام علي ﷺ في ينبع، فيقول:

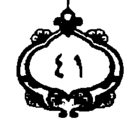
«كانت أموال علي (رضي الله عنه) عيوناً متفرقة بينبع، منها: عين يقال لها: عين البُحير، وعين يقال لها:عين أبي نيزر، وعين يقال لها (عين نولا) وهي اليوم تُدعى (العدر) وهي التي يقال: إنّ علياً ﷺ عمل فيها بيده، وهي مكان صلاة النبي ﷺ في واقعة ذي العشيرة، حيث كان يطارد قافلة قريش... كما أنّ لعلي في ينبع نهراً من عين (عين الحدث) وسهماً من عين (العصيبة)»[3].

ويرى ابن شهرآشوب أنّ عدد العيون والينابيع التي كان الإمام يمتلكها علي في ينبع قاربت مئة عين ونبع[4].

وحجم محاصيل تلك الأملاك في زمن الإمام علي ﷺ كان يزيد على ألف من الأوساق ـ حسب رواية الواقدي ـ[5]. أمّا القيمة الاجمالية لتلك الأملاك فلا توجد معلومات دقيقة بشأنها، لكن وطبقاً لما جاء في رواية «عين أبي نيزر» يتضح أنّ قيمتها كانت كبيرة جدّاً.

---

(١) الخيف وتعني المنخفضة من الأرض.
(٢) أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٢٢٢.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٢١.
(٤) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص١٣٢.
(٥) كل وسق يساوي ١٨٠ كيلو غراماً.



وجاء في الروايات أيضاً، أنّ معاوية عرض مبلغ مئتي ألف دينار لشراء عين أبي نيزر من الإمام الحسين عليه السلام لكنّ الإمام رفض ذلك[1].

٣ ـ ٣ ـ سائر النشاطات العمرانية للإمام علي عليه السلام:

من الإشارات الواردة في رسائل الوقف والتقارير التي تتحدث عن بركات النشاطات الاقتصادية للإمام علي عليه السلام يمكن أن نفهم أنّ الإمام، بالاضافة إلى ينبع، كانت له نشاطات عمرانية أخرى في المدينة، مثل: حفر الآبار وزراعة بساتين النخيل. ففي رسالة الوقف التي كتبها الإمام بنفسه نجد إشارة إلى ممتلكاته في وادي القرى، ترعة[2]، أذنية[3] وفُقير. ويقدم ابن شبة في كتابه تاريخ المدينة المنورة معلومات وافرة بهذا الصدد، ويقول:

«وعمل عليٌّ رضي الله عنه أيضاً بينبع «البغيبغات» وهي عيون منها عين يقال لها: «خيف الأراك»، ومنها عين يقال لها: «خيف ليلى»، ومنها عين يقال لها: «خيف بسطاس» فيها خليج من النخل مع العين، وكانت البغيبغات ممّا عمل علي رضي الله عنه وتصدق به....»[4].

ولعليٍّ رضي الله عنه أيضاً ساقٍ على عين يقال لها: «عين الحدث»[5]

---

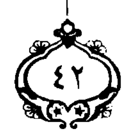
(١) أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (المبرد): الكامل في الأدب، ج٣، ص١١٢٨.

(٢) «ترعة» اسم واد يتصل بوادي «أضم» من جهة القبلة، ويعتبره الزبيري ملحقاً بـ«أضم».السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١١٦١. وجاء في الكافي لفظ «ديمة» بدل «ترعة»؛ (محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٧، ص٤٩، ح٧)..

(٣) ورد في الكافي «أذينة» على أنه اسم أحد وديان «القبلية» بين المدينة والشام. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٣٣).

(٤) أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٢٢٥؛ محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٧، ص٤٩، ح٧.

(٥) اسم بئر حفرها «تبع اليماني» في بيته بوادي «قناة». (السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٤، ص١١٤٣).



بينبع، وأشرك على عين يقال لها: «العصيبة»[1] موات بينبع. وكان له أيضاً صدقات بالمدينة: «الفقيرين»[2] بالعالية و«بئر الملك» بقناة، و«الأدبية» بالإضم...

ولعليٍّ رضي الله عنه في صدقاته «عين ناقة» بوادي القرى يقال لها: «عين حسن» بالبيرة من العلا[3]....

وله بوادي القرى أيضاً عين موات... ولعلي رضي الله عنه أيضاً حق على عين سكر. وله أيضاً ساقٍ على عين بالبيرة وهو في الصدقة. وله بحرة الرجلاء من ناحية شعب زيد وادٍ يدعى الأحمر، شطره في الصدقة... وله أيضاً بحرة الرجلاء وادٍ يقال له: «البيضاء» فيه مزارع وعفا وهو في صدقته.

وله أيضاً لحرة الرجلاء أربع آبار يقال لها: «ذات كمات»، و«ذوات العشراء» و«قعين» و«معيد» و«رعوان» فهذه آبار في صدقته.

وله بناحية فدك وادٍ بين لابتَي حرة[4] يدعى «رعية»[5] فيه نخل ووشل من ماء يجرى على سقا بزرنوق فذلك في صدقته. وله أيضاً بناحية فدك وادٍ يقال له: «الأسحن»...

---

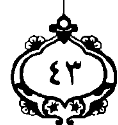
(١) اسم وادٍ في أطراف المدينة، نزل فيه «تبع اليماني». ويبدأ هذا الوادي من الطائف لينتهي عند مزار شهداء أُحُد. (السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٣، ص١٠٧٤).

(٢) اسم وادٍ تقع فيه المدينة، وقد عرف بهذا الاسم لأنّ السيول تلتقي عنده، وقد رأى البعض أنه «وادي القناة» نفسه.

(٣) «العلا» جمع عليا، وهي ناحية بين وادي القرى والشام، نزل فيها النبي ﷺ عند مسيره إلى تبوك، وقد شيد مسجداً في المحل الذي صلى فيه. (راجع: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٤).

(٤) «الحَرّة» بمعنى الحصاة و«حرة الرجلاء» منطقة حصوية في ديار بني القين بن جسر، بين المدينة والشام. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٦).

(٥) ورد في عبارت السمهودي في وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى،ج٤، ص١١٦١) ذكر «ترعة» بدل «رعية». ويقول: «وذكر ابن شبة في صدفات علي ـ رضي الله عنه ـ وادياً يقال له: ترعة بناحية فدك بين لابتي حرة».



وله أيضاً ناحية فدك مال بأعلى حرة الرجلاء يقال له: «القصيبة.......»[1][2].

ويشير ابن شهرآشوب إلى الآثار الكبيرة لنشاطات الإمام علي عليه السلام الاقتصادية الأخرى، والتي نجدها في نصوص تاريخية أخرى. ومن جملة ذلك حفر آبار على الطريق بين مكة والمدينة[3]. وقد ورد هذا الأمر في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً[4]. وبالرغم من صعوبة تحديد أماكن هذه الآبار، فإنّنا نجد اليوم منطقة باسم بئر علي وآبار علي حيث يقع مسجد الشجرة[5]. وطبقاً لرواية عن الإمام الصادق عليه السلام فإنّ هذه المنطقة أقطعها النبي صلى الله عليه وآله الإمام علياً عليه السلام[6]. وجاء في معجم البلدان[7]، أنّ وادي عقيق يقسم إلى ثلاث نواحٍ هي: الصغرى والكبرى والأكبر، وأنّ العقيق الأكبر وبئر علي مكانهما في بطن ذي الحليفة[8][9].

وينقل السمهودي حدود وادي عقيق نقلاً عن المطري، ويقول: إنّ حدّه الأول بئر علي العليا ـ المعروف بالخليقة ـ، والآخر بئر علي في ذي الحليفة المحرم[10].

ومع الأخذ بهذه المجموعة من القرائن، يمكن القول إنّ هذه الآبار

---

(١) «القصيبة» اسم واد بين المدينة وخيبر أسفل وادي الروم وأطرافه.
(٢) أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٢٢٣ و٢٢٥.
(٣) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص١٢٣.
(٤) محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤١، ص٣٢.
(٥) السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٣، ص١٠٠٢.
(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص١٢٨٢.
(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٣٩.
(٨) ذو الحليفة، اسم مكان في أطراف المدينة يقع فيه مسجد الشجرة، ومن هذا المسجد يبدأ إحرام الحجيج إذا كانوا يقصدون مكة من جهة المدينة.
(٩) السمهودي: وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى، ج٣، ص١٠٤١.
(١٠)راجع: أصغر قائدان: تاريخ وآثار إسلامي مكه مكرمه ومدينه منوره، ص٤٠٣...٤٠٩.



حفرت في المكان الذي يعرف حالياً ب(آبار علي). وقد عدّ البعض الآبار التي حفرها الإمام في هذه المنطقة ثلاثاً وعشرين بئراً[1].

٤ ـ ٣ ـ ثروة الإمام ودخله الخاص:

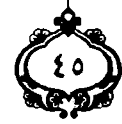
كما أشرنا عند دراسة الوضع المالي للإمام في عهد الرسول ﷺ، فقد بدأ الإمام نشاطه الاقتصادي من الصفر، لدرجة أنّه كان يعجز في السنوات الأولى من الهجرة عن سدّ رمقه وأسرته، لكن تعاضد قوة الإيمان والفكر والجسم لديه جعلته يحقق نجاحات كبيرة في فترة قصيرة نسبياً من الزمن، يصعب على الإنسان العادي تحقيقها.

بالطبع لم يكن عدد الذين استطاعوا في تلك الفترة جمع الكثير من المال باستغلال بيت مال المسلمين قليلاً؛ من أمثال عبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير حيث أصبح لهم الكثير من الخدم والحشم، حتى أنّ أحدهم وبعد موته جرى تقسيم ما اكتنزه من مال وذهب بالفؤوس[2]. لكننا لا نجد إنتاج ثروة بهذا الحجم الكبير واستخدامها في المجالات الإنسانية والإسلامية بعيداً عن التفاخر والتكاثر، بل في سبيل الله ورفاهية عباده، إلا في سيرة علي عليه السلام. ومثل هذا النموذج للنجاح الاقتصادي لم يكن مفهوماً للعديدين آنذاك، حتى أنّ بعض الأشخاص مثل طلحة والزبير كانوا يعيبون على الإمام فقره وضيق يده. وفي رده على الذين كانوا ينتقدون ثروة علي عليه السلام يقول الإمام الصادق عليه السلام مستنداً في ذلك إلى مصارفها الإنسانية:

«... فقال: ما يسؤوني ذاك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ ذات يوم على

(١) راجع: أبا الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعدن الجوهر، ج٢، ص٣٤١ و٣٤٢.

(٢) محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٦، ص٤٣٩، ح٨.



ناس شتى من قريش وعليه قميص مخرق فقالوا: أصبح عليٌّ لا مال له؛ فسمعها أمير المؤمنين عليه السلام فأمر الذي يلي صدقته أنْ يجمع ثمره ولا يبعث إلى انسان شيئاً وأنْ يوفره، ثم قال له: بعه الأول فالأول واجعلها دراهم، ثم اجعلها حيث تجعل التمر فاكبسه معه حيث لا يُرى، وقال للذي يقوم عليها: إذا دعوت بالتمر فاصعد وانظر المال فاضربه برجلك كأنك لا تعمد الدراهم حتى تنثرها، ثم بعث إلى رجل منهم يدعوهم ثم دعا بالتمر فلما صعد ضرب رجله فنثرت الدراهم فقالوا: ماهذا يا أباالحسن؟ فقال: هذا مال من لا مال له، ثم أمر بذلك المال فقال: انظروا أهل كل بيت كنت أبعث إليهم فانظروا ما له وابعثوا إليه».

وفي رواية مماثلة عن أبي بصير، يقول: إنّ المال الذي يأتي من بيع المحاصيل في هذه القضية يساوي مائة ألف درهم[1]. وتدل هذه الرواية على أنّه عليه السلام كان يتألّم من اتهام الآخرين له بالفقر، لذلك وبالرغم من أنّه كان يواسي الفقراء في حياته الخاصة، لكنه كان مضطراً أحياناً لإظهار قوته الاقتصادية. ويقول الإمام علي عليه السلام في ذلك:

«لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّي لأربط الحجر على بطني وإنّ صدقتي اليوم لأربعون ألفاً»[2].

وجاء في بعض الروايات أربعة آلاف دينار، بدل أربعين ألف دينار[3]، لكن الأربعين ألف دينار أكثر شهرة، وقد جاء في روايات أخرى: **«تزوجت فاطمة عليها السلام وما كان لي فراش وصدقتي اليوم لو قسمت على بني هاشم لوسعتهم»** وقال فيه: إنّه عليه السلام وقف أمواله وكانت غلته

(١) محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٦، ص٤٤٠، ح١١.
(٢) أحمد بن حنبل: المسند، ج١، ص٣٣٤، ح١٣٦٨؛ أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة، ج٢، ص٧١٢، ح١٢١٨.
(٣) ابن عساكر: ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٤٥٠، ح٩٦٧ ـ ٩٦٩ وح ٩٧٠.



أربعين ألف دينار وباع سيفه وقال: من يشتري سيفي؟ ولو كان عندي عشاء ما بعته. وقال فيه: إنّه عليه السلام قال مرة: من يشتري سيفي الفلاني؟ ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته. قال: وكان يفعل هذا وغلته أربعون ألف»[1].

٤ ـ فترة الخلافة:

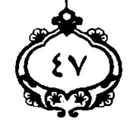
بعد مقتل عثمان تدافع الناس إلى الإمام عليه السلام بقوة، حتى أكرهوه على تولّي زمام الخلافة في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية، واستمرت خلافته حتى الحادي والعشرين من شهر رمضان لسنة ٤١ هجرية إذ انتقل إلى جوار ربه بعدما امتدّت إليه يد الغدر في محراب مسجد الكوفة، وخلال هذه الفترة بدأ فصل جديد في سيرة الإمام عليه السلام لونه الغالب السياسة؛ لأنّ الإمام عليه السلام أصبح يمسك بزمام الدولة الإسلامية، لكننا نشهد ظهور الأفكار الاقتصادية في مجال الحكم. وبما أنّ موضوع الكتاب هو بيان السيرة الذاتية للإمام عليه السلام فسوف نتناول هذه الحوادث ذات البعد الشخصي فقط دون سواها.

إنّ دراسة السيرة الشخصية للإمام علي عليه السلام في هذه الفترة التي كان فيها الحاكم الممسك بجميع الإمكانيات والصلاحيات، تتّسم بأهمية بالغة من حيث مقارنتها بفترة عزلته السياسية وذروة نشاطه الاقتصادي.

ويمكننا تقسيم الحوادث الاقتصادية في هذه الفترة من حياة الإمام إلى مرحلتين، هي: فترة التحوّل في موارد دخله العام، النشاطات العمرانية والدخل الناتج عن العمل.

---

(١) محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤١، ص٤٣.



١ ـ ٤ ـ التحوّل في موارد الدخل العام للإمام:

أولاً ـ الغنائم الحربية: في فترة خلافة الإمام علي عليه السلام لم تكن الغنائم الحربية تشكل دخلاً، لأنّ جميع الحروب التي خاضها الإمام، كانت بين طائفتين من المسلمين، وطبقاً لحكم الإمام الصريح، لا يجوز في هذه الحروب أسر المقاتلين من الأعداء أو غنم أموالهم، عدا الأموال التي تشارك في المعركه والقتال، لكن هذه الغنائم لم تكن ذات أهمية اقتصادية. لذلك يمكن القول إنّه لم يكن للإمام أيّ دخل عن طريق الغنائم الحربية في هذه الفترة[1].

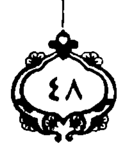
ثانياً ـ حصته السنوية من بيت المال: لم يكن الإمام علي عليه السلام يميز بين الناس في قسمة عطاءاتهم من بيت مال المسلمين، فالحصة التي يأخذها هو كانت بمقدار ما يعطيها للآخرين، علماً أنّه كان في أغلب الأوقات يصرف ما يكسبه على المحتاجين. فبعد حرب الجمل، وعندما قام الإمام بتقسيم بيت مال البصرة، اخذ هو كغيره من المسلمين حصته، لكنه اعطاها إلى آخر كان قد سقط اسمه من الديوان[2].

ثالثاً ـ حق الإمارة: في عهد الخليفة عمر، عندما تقرر البحث في عطاء الخليفة وأجرته من خزينة الدولة، قام عمر بجمع الصحابة واستشارهم في ذلك، فأشار عليه الإمام علي عليه السلام بحق الخليفة وأسرته

---

(١) راجع: الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ح١١٥٩٣ و١١٥٥٧؛ أبا الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعدن الجوهر، ج٢، ص٣٨٠.

(٢) راجع: الشيخ المفيد: الجمل، ص٢١٥؛ مجموعة آثار الشيخ المفيد، ج١، ص٤٠٠؛ أبا الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢٠، ص٣٨٠؛ أبا نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١، ص٨١؛ ابن عساكر: ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق، ج٣، ص٢٢٩؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٠٠.



في ذلك بالمقدار المتعارف، وقد قبل الصحابة هذا الرأي بالإجماع[1]. وهكذا كان يعمل عمر، لكن عثمان كان يرى لنفسه الحق في الاستئثار ببيت المال فخصّص مقداراً كبيراً منه لنفسه[2]. وبعد وصول الإمام علي إلى سدّة الخلافة، وللوقوف بوجه الانحرافات التي شهدها عهد عثمان، لم يبح لنفسه أنْ يرتزق من بيت المال، وأعلن ذلك على الملأ، قائلاً: «**إنّي والله لا أرزؤكم من فيئكم درهماً ما قام عذق بيثرب.....**»[3].

ومع أهل الكوفة أيضاً، تحدث الإمام عليه السلام فقال: «**يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن**»[4]. وهناك روايات عديدة وغريبة تتحدث عن اجتناب الإمام الارتزاق من بيت المال. وهنا نكتفي بنقل واحدة منها. يقول ابن عساكر في كتابه (تاريخ مدينة دمشق)، عن عشرة:

دخلت على علي عليه السلام بالخورنق وعليه سمل قطيفة وهو يُرعد فيها، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل هذا بنفسك! قال: فقال: «**إني والله ما أرزؤكم شيئاً، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من بيتي ـ أو قال: من المدينة ـ**»[5].

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٦١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٣٥.
(٢) محمد محمدي ري شهري، موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٣، ص١٣٧ ـ ١٤٠.
(٣) أبو الحسين ورام، تنبيه الخواطر ونزعة النواظر، ج٢، ص١٥١.
(٤) ابن هلال الثقفي، الغارات، ج١، ص٦٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٠٠.
(٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٤٧٧ و٤٨١؛ أبو عبيد القاسم بن سلام الروسي الهروي: الأموال، ص٢٨٤، ح٦٧١.



٢ ـ ٤ ـ النشاطات العمرانية للإمام وكسبه لقوته من عمله:

خلال فترة خلافته التي قاربت خمس سنوات، غالباً ما كان الإمام مشغولاً في إدارة شؤون الدولة. فقد شهدت الفترة المذكورة حروباً وثورات متوالية لم تعطه الفرصة للاهتمام بالجانب الاقتصادي. ومع هذا، فقد كانت مسألة تنظيم الأمور الاقتصادية للناس وخاصة المحرومين والمستضعفين منهم في سلم أولوياته. فالنهب الذي عاشته الدولة لخزانتها خلال الفترة السابقة ترك ذهنية سيئة لدى الناس، لذلك كان ينظر الناس إلى نشاط الإمام الاقتصادي وما يدرّ عليه من ثروة امتداداً لفترة عثمان. ومن هذا المنطلق لم يدّخر لنفسه ثروة من نشاطاته الاقتصادية بل أنفقها جميعاً في سبيل الله، بالرغم من أنه لم يترك فرصة للقيام بذلك. وفي هذا الصدد يقول الإمام الباقر عليه السلام: **«لقد ولي الناس خمس سنين فما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطيعة ولا ورث بيضاء ولا حمراء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع لأهله بها خادماً»**[(١)].

وقد قيل بشأن نشاطاته الاقتصادية في هذه الفترة:

«إنه (أمير المؤمنين علي عليه السلام لما كان يفرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم، فإذا فرغ من ذلك اشتغل في حائط له يعمل فيه بيديه وهو مع ذلك ذاكر لله تعالى»[(٢)].

ويشرح ابن أبي الحديد نشاطات الإمام كالتالي:

«كان يعمل بيده، ويحرث الأرض ويستقي الماء، ويغرس النخل كل

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٨، ص١٣٠ ح١٠٠.

(٢) الحلي الأسدي: عدة الداعي ونجاح الساعي، ص١٠١؛ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١٠٣، ص١٦، ح٧٠.



ذلك يباشره بنفسه الشريفة ولم يستبق منه لوقته ولا لعقبه قليلاً ولا كثيراً، وإنما كان صدقة»[1].

ولعل أحد أبرز تلك النشاطات، حفر قناة في ينبع باسم عين أبي نيزر[2]، ويشرح أبو نيزر قصة إحياء هذه العين، فيقول:

«جاءني علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وأنا أقوم بالضيعتين؛ عين أبي نيزر والبغيبغة، فقال لي: هل عندك من طعام؟ فقلت: طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين؛ قرع من قرع الضيمة، صنعته بإهالة سنخة. فقال: عَلَيَّ به، فقام إلى الربيع ـ وهو جدول ـ فغسل يديه، ثم أصاب من ذلك شيئاً، ثم رجع إلى الربيع، فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما، ثم ضمّ يديه كل واحدة منهما إلى أختها وشرب بهما حُسىً من الربيع، ثم قال: يا أبا نيزر، إنّ الأكف أنظف الآنية. ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه، وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله! ثم أخذ المعول وانحدر في العين، فجعل يضرب، وأبطأ عليه الماء، فخرج وقد تفصّد جبينه عرقاً، فانتكف العرق عن جبينه، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين، فأقبل يضرب فيها، وجعل يهمهم، فانثالت كأنها عنق جزور، فخرج مسرعاً، فقال: أشهد الله أنّها صدقة، عليَّ بدواة وصحيفة. قال: فعجلت بهما إليه فكتب....»[3].

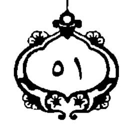
والقرائن الموجودة في هذه الرواية، مثل مخاطبة أبي نيزر له بلقب

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٤٧.

(٢) أبو نيزر، اسم واحد من موالي الإمام علي عليه السلام وقد سمّيت هذه العين نسبةً إليه، لقد كان أبو نيزر ابن النجاشي ملك الحبشة، اشتراه الإمام علي عليه السلام وأعتقه تقديراً لما قدمه أبوه للمسلمين المهاجرين إلى الحبشة.
(السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص١٢٧١).

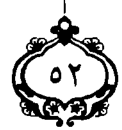
(٣) أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (مبرد): الكامل في الأدب، ج٣، ص١١٢٧؛ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٤، ص٣٨٨؛ السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص١٢٧٢.



«أمير المؤمنين»، أو عبارة الإمام نفسه في بداية رسالة الوقف الخاصة بهذه البئر (هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين...)[1]، كلها تدل على أنّ هذه القناة جرى حفرها في الشهور الأولى من خلافته عليه السلام وقبل أنْ يتوجه إلى الكوفة.



(١) أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (مبرد): الكامل في الأدب، ج٣، ص١١٢٧؛ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٤، ص٣٨٨؛ السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص١٢٧٢.





الفصل الثاني

دراسة تحليلية لسيرة الإمام في العمل وكسب القوت

١ ـ الدافع وراء العمل وكسب القوت:

تلعب الدوافع دوراً حاسماً في رسم صورة السلوك الاقتصادي البشري. فاتّخاذ القرار بعمل معين وتنظيم ساعات العمل والفراغ واختيار نوع العمل وحجم الإنتاج ونوع البضاعة المنتجة يرتبط بشكل مباشر بالعمل والإنتاج. وبما أنّ متطلبات الإنسان متنوعة من حيث الكم والنوع وتكمن وراءها دوافع أساسية، فإنّ علماء الاقتصاد يقومون بتحليل هذه الدوافع بعمق وجدّية لمعرفة السلوك الاقتصادي لدى الأفراد. الفلاسفة الاقتصاديون في الغرب من أمثال جرمي بنتام وهوبز ووليام جونز وآدم سميث يرون أنّ اللذة هي الغاية القصوى من النشاط البشري[1]، ولأنّ اللذة كغاية تحمل معها قيمة ذاتية، فلا بد أن تكون الأهداف متوسطة المدى في إطار تلك الغاية القصوى. ومن هذا المنطلق يجري تحديد

(١) يطلق على هذه العقيدة اصطلاحاً «مذهب أصالة الفائدة» أنّ utilitirianism، وقد طرحها لأول مرة جرمي بنتام ضمن ثلاثة مبادىء بسيطة: ١ ـ يجب أن تكون اللذة غاية كل عمل فردي ٢ ـ كل لذة تكون لشخص واحد بمفرده لا أكثر ٣ ـ يجب أن يكون الهدف من العمل الاجتماعي هو الوصول إلى الحد الأعلى من صلاح الكل (The new palgrve.vol.4.p.770).



تلك الأهداف بالنسبة للمنتج بالحصول على الحد الأعلى من الربح وأكبر قدر ممكن من الدخل والتقليل من الأضرار والكلفة[1]. هذا في حين أننا نجد في نهج البلاغة رفضاً قاطعاً لسلطة اللذة على السلوك من قبل الإمام علي عليه السلام[2].

يقول الإمام فيما يتعلق بمكانة الدنيا ولذاتها:

«... هيهات! من وطىء دحضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومن ازورّ عن حبائلك وُفّق، والسالم منك لا يبالي إنْ ضاق به مناخه، والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه.

اعزبي عني! فوالله لا أذل لك فتستذليني، ولا أسلس لك فتقوديني، وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشية الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص، إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً...»[3].

أما الهدف الأصيل والوحيد الذي يحمل قيمة ذاتية في نفسه، فهو كسب رضى الباري عزوجل. إنّ رضى الله يعتبر دافعاً قوياً لدى الإمام علي يجعله يكدح رغم حرارة الشمس اللاهبة، في حين أنه ليس بحاجة إلى عوائد أو محصول ما يقوم بإنتاجه وعمله[4]. ونجد عظمة إخلاص الإمام في العمل من خلال هذه العبارات التي يسوقها ابن أبي الحديد، حيث يقول:

«وروي عنه أنه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ويتصدق بالاجرة ويشد على بطنه حجراً»[5].

(١) نهج البلاغة، مدخل إلى اسس الاقتصاد الجزئي برواية إسلامية ـ محمد جعفر الأنصاري وآخرون ص٦٤ ـ ٨١.
(٢) نهج البلاغة، رسالة ٤٥.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الشيخ الصدوق: كتاب من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص١٦٣، ح٣٥٩٦.
(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٢.



وإذا أردنا ان نتصور أهدافاً متوسطة المدى في امتداد هذا الهدف النهائي لعمل الإمام، فيمكن القول إنّه كان (قليل المؤونة وكثير المعونة). وهذا ما يحدده الرسول الكريم ﷺ كواحدة من صفات المؤمن[1].

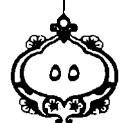
وفي وصفه للمتقين في نهج البلاغة يستخدم الإمام علي عليه السلام تعبيراً مشابهاً، فيقول: «نفسه منه في عناء والناس منه في راحة»[2]. والحقيقة هي أنّ علياً عليه السلام كان المظهر الأعلى لهذه الصفات، فبينما كان يحصل على الكثير من الدخل والمنتوجات بواسطة قيامه بعمل مضنٍ، لم يكن يستأثر لنفسه من ذلك شيئاً يذكر ـ وكما سيأتي في دراستنا لسيرته في إنفاق الدخل ـ فقد كان ينفق جميع ذلك تقريباً في سبيل الله.

إنّ تحليل خصائص القاعدة «قليل المؤونة كثير المعونة» يحتاج إلى فرصة أوسع، لكننا هنا، سنشير إلى بعضها:

على أساس هذه القاعدة، لا بد للمؤمن من فائض في الدخل، لأنّ السعي إلى هذا الفائض هو الذي يضمن نمو اقتصاديات المجتمع الإسلامي.

وتشير هذه القاعدة أيضاً إلى كيفية تخصيص الفائض من الدخل، حيث يتوجب على كل إنسان أنْ يصرف جزءاً من فائض دخله في الموارد التي يكون خيرها عامّاً، مثل مساعدة الفقراء والأيتام. وبهذا الشكل نضمن توزيعاً عادلاً للدخل والثروة. فقاعدة اللذة لا تشكل دافعاً وراء النشاط الاقتصادي، لأنها تتعارض مع قاعدة «خفيف المؤونة». وحسب هذه القاعدة الأخيرة لا يمكن التضحية بالمعنويات من أجل الماديات،

(١) محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٦٧، ص٣١٠، ح٤٥.
(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٩٣.



وبهذا الشكل فقط يمكن إرضاء الدوافع المعنوية. وطبقاً للقاعدة المذكورة لا بد أنْ يكون الإنتاج الاقتصادي للمؤمن في حدّه الأعلى من الخير الاجتماعي، لذلك يجب تجنب الإنتاج الذي يؤدي إلى التبذير والهدر في المصادر، وأنْ يعمل في جميع الظروف (الاحتكار، التنافس و... إلخ) بما يضمن سدّ حاجات الآخرين الاقتصادية. ومن مستلزمات هذا العمل عدم تقليل الإنتاج أو رفع الأسعار بهدف زيادة الربح الشخصي.

٢ ـ التوظيف الأمثل للطاقات الإنتاجية:

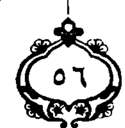
وفرة الإنتاج هي من أبرز سمات السلوك الإنتاجي للإمام علي عليه السلام. ولقد تعرفنا في هذا القسم من الكتاب على جوانب من هذه الخصوصية السلوكية عند الإمام. فهي تستند كما أشرنا من قبل إلى قاعدة (كثير المعونة). فما دام المجتمع بحاجة إلى سلعة معينة لا بد من التوظيف الأمثل لكل الطاقة الإنتاجية الفعلية، بل وتفعيل الطاقة الكامنة أيضاً مع وجود استمرار الحاجة.

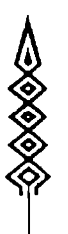
٣ ـ الأولوية في إنتاج السلع الأساسية:

كان الإمام علي عليه السلام يحث في العديد من أقواله على جميع أنواع النشاط الاقتصادي (الصناعة، التجارة، الخدمات والزراعة)[١] إلا أنه اختار ممارسة الزراعة، ووراء هذا الاختيار ثلاثة أسباب على الأقل:

السبب الأول، يعود إلى الظروف البيئية والاقتصادية في المدينة. فعلى خلاف مكة التي كانت مناسبة لمهنتَي التجارة والرعي، وكان أهلها

(١) راجع: محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٤، ص١٧١ ـ ١٧٤.





يعملون في هاتين المهنتين، كانت المدينة ملائمة بشكل أكبر لمهنة الزراعة وذلك نظراً لوجود تربة خصبة ومياه وفيرة ومناخ مناسب. وعلى هذا الأساس نجد الرسول ﷺ يخاطب القرشيين بعد هجرته إلى المدينة قائلاً:

«يا معشر قريش، إنكم تحبّون الماشية فأقِلّوا منها؛ فإنّكم بأقل الأرض مطراً[١]، واحترثوا فإنّ الحرث مبارك، وأكثروا فيه من الجماجم»[٢].

السبب الثاني، أنّ الزراعة تشكل لبنة أساسية في التنمية الاقتصادية. صحيح أنّ التنمية الاقتصادية تقوم على التطور التقني في قطاع الصناعة، لكن ما دام الإنسان لم يصل إلى مرحلة تأمين حاجاته الضرورية والابتدائية، فلن يكون هناك فائض ماليّ للاستثمار ولا فائض في الموارد البشرية لاستخدامهما في قطاع الصناعة، وهذان العاملان (فائض المال وفائض الموارد البشرية) حاسمان في عملية التنمية.

السبب الثالث، وهو الأهم يعود إلى انسجام ذلك مع القاعدة السلوكية للإمام. ويظهر أن الزراعة، بالرغم من فائدتها الكثيرة للمجتمع، خاصة سدّ الحاجات الضرورية لمحدودي الدخل، لكنها اقتصادياً قليلة الربح والعاملون في هذا المجال يتبوّؤون درجات دنيا في السلّم الاجتماعي. إذن، فالزراعة عمل جهده كثير وربحه قليل، لكنه كثير الخير والبركة. ومن هذا المنطلق فإنّ اختياره من قبل الإمام ينسجم

(١) بالرغم من أنّ المدينة كباقي مدن الجزيرة العربية لا تتوفر فيها المياه بكثرة، لكنها جيدة من حيث التربة والمياه للزراعة مقارنة بمكة، وعبارات الحديث تبين أنّ الزراعة في المدينة أيضاً تواجه مصاعب، لكن رغم ذلك كان الرسول ﷺ يطلب من الناس ـ وخاصة قريش ـ بذل الجهد لأنّ في الزراعة الخير والبركة.

(٢) البيهقي: السنن الكبرى، ج٦، ص٢٢٩، ح١١٧٥٣.



تماماً مع القاعدة، لأنه يختار دائماً العمل الأكثر جهداً والأصعب من بين الأعمال التي يرضى بها الله تعالى[1].

٤ ـ المهارة في العمل:

النجاحات الاقتصادية التي حققها الإمام علي عليه السلام تبين معرفته ومهارته العالية في مجال الإنتاج. وكما مرّ سلفاً، فإنّه من خلال خبرته وتجربته استطاع أن يكتشف وفرة العيون المائية في ينبع، فقام بحفر ما يقرب من ١٠٠ بئر في هذه المدينة وعشرات الآبار في مناطق أخرى خلال فترة وجيزة نسبياً. ولا شك في أنّ هذه النجاحات رهن بالخبرة والمهارة العالية. ولعل ما يشهد بعلم الإمام في هذا المجال ما ورد من رواية مشهورة عن الإمام الباقر عليه السلام حيث يقول:

«لقي رجل أمير المؤمنين عليه السلام وتحته وسق من نوى، فقال له: ماهذا يا أبا الحسن تحتك؟ فقال: مائة ألف عذق إنْ شاء الله، قال: فغرسه، فلم يغادر منه نواة واحدة»[2].

وفي هذه الرواية مثال بارز على نجاحه الباهر في مجال الإنتاج، لأنه كان يمتلك معرفة تقنية.

٥ ـ إيجاد فرص للعمل:

إنّ سجلّ الإنجازات الباهرة للإمام علي عليه السلام يوضح لنا أنه وبالرغم من جسامة المسؤوليات الملقاة على عاتقه، إلا أنّه استطاع إيجاد مئات فرص العمل واستطاع تشغيل العديد من الأسر لتحصل من وراء ذلك

---

(١) محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٨، ص٢٢٧، ح٣٧١٥.

(٢) محسن فيض الكاشاني: المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ج٧، ص٣١٦.



على حياة كريمة. فهو وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «يضرب بالمرّ ويستخرج الأرضين»[1]، ومع إحياء كل قطعة من الأرض، كان يوجد فرصة عمل لمجموعة من الناس، ومن ثم كان يبدأ بأرض أخرى و... كانت ثمرة هذه النشاطات والكدح في أواخر أيام عمر الإمام، كما نراه في وصيته[2]، إيجاد فرص عمل لعشرات بل مئات الأشخاص في المزارع. وهذا كله، يقدم صورة لأحد أكبر موجدي فرص العمل.

٦ ـ تنظيم اوقات العمل والفراغ:

ان تنظيم أوقات العمل والفراغ يتبع بالدرجة الأولى أهداف العمل والإنتاج والدوافع التي تقف وراءهما. ومن البديهي أنْ تقل ساعات العمل لصالح الفراغ، إذا كان الهدف من العمل هو الحصول على الحدّ الأعلى من اللذة. وحسب القيم السلوكية للإمام عليه السلام فإنّ الهدف دائماً هو كسب رضى الباري عزوجل، والله يحب العمل وينبذ البطالة واللهو. وعلى هذا الأساس لا بد من تخصيص الحجم الأكبر من الوقت للعمل والمثابرة وما بقي للراحة والفراغ. بعبارة أخرى، كان الإمام يقسّم ساعات اليوم بين هذين الوضعين (العمل والفراغ) بشكل يحصل فيه على الحدّ الأكثر من رضى الله تعالى، حتى لو كان من تبعات هذا التقسيم تحمل الصعاب والمشاق الكثيرة جسدياً.

٧ ـ الانضباط والحرص في العمل:

لعلّ من أبرز خصوصيات السلوك العلوي هي أنّه عليه السلام كان دقيقاً في

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٧٤؛ راجع: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٤٧.

(٢) راجع: محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٧، ص٤٩ ـ ٥١؛ أبا زيد عمر بن شبة النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٢٢٥ ـ ٢٢٨.



انضباطه وكان يتميّز بحرص شديد على العمل. فقد كان الإمام يستفيد من كل لحظات حياته ولم يهدر أيّ فرصة يمكنه فيها القيام بالنافع من الأعمال. ولعل سلوكه في معركة خيبر أحسن دليل على ذلك. ففي لحظات من تلك المعركة لم يستطع الإمام المشاركة في القتال بسبب الألم الشديد الذي نزل بعينيه، لكنّ حرصه الشديد وشعوره بالمسؤولية لم يسمحا له بأن يتنحّى جانباً حيث أرسل الرسول الكريم ﷺ الصحابة ليبحثوا عنه فوجدوه في المطحنة يقوم بالطحن على الرغم من شدة الألم في عينيه[1].

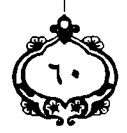
ويصف الإمام الباقر عليه السلام برنامج الإمام علي عليه السلام اليومي، فيقول:

«كان علي عليه السلام إذا صلى الفجر لم يزل معقباً إلى أنْ تطلع الشمس فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين، وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن، وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك»[2].



(١) راجع: أبا عبد الله أحمد بن أحمد بن حنبل الشيباني: فضائل الصحابة، ج٢، ص٦٨٣، ح ١١٦٨؛ أبا عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٤٣، ح٤٦٥٢.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٠٩.





الفصل الثالث

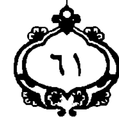
سيرة الإمام علي عليه السلام في الاستهلاك وتخصيص الدخل

في الأدب الاقتصادي، يمكن تقسيم نفقات المسلمين إلى ثلاث مجموعات عامة:

نفقات الاستهلاك الفردية، نفقات المشاركة الاجتماعية، ونفقات الادخار والاستثمار. وعلى هذا الأساس سنقوم ببحث سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في الإنفاق والمصروفات في هذه المجموعات الثلاث:

١ ـ نفقات الاستهلاك الفردية:

نفقات الاستهلاك الفردية تعني الأموال التي ينفقها الفرد أو العائلة في المجالات المتعلقة بشراء المأكولات والألبسة والسكن والزواج والنقل والترفيه عن النفس. وفي اللغة العربية يقال: استهلك السلعة أي أنفقها وأنفدها. وبالرغم من أهمية توفير التكاليف الاستهلاكية للحفاظ على الحياة وديمومتها، إلا أنه ولجهة الموازنة بين هذه النفقات والنفقات الاستثمارية بغية تلبية الحاجيات المستقبلية من جهة، ونفقات المشاركة الاجتماعية من جهة أخرى، فإنّ حدوث أيّ خلل في هذا التوازن سيؤدي دون أدنى شك إلى تعرض أسس اقتصاد الأسرة وعلى المدى البعيد إلى أضرار حقيقية إضافة إلى فقدان التوازن الاجتماعي في



هذا الاتجاه؛ ولذا فإنّ تنظيم النفقات الاستهلاكية في الاقتصاد يتسم بأهمية بالغة.

الإمام علي عليه السلام وكما كان نموذجاً كاملاً في السلوك الإنتاجي، فقد جسد أيضاً مثالاً نموذجياً لسلوك الفرد المسلم في الاستهلاك. ويمكن دراسة سيرة الإمام في هذا المجال في عدة بحوث مختلفة[1].

١ ـ ١ ـ نفقاته عليه السلام في مرحلة الطفولة والشباب..

ليس هناك معلومات دقيقة حول السلوك الاستهلاكي للإمام خلال الأعوام التي سبقت اقترانه بالسيدة الزهراء عليها السلام، إلّا أنه وكما ذكرنا سابقاً فإن الإمام عليّاً عليه السلام قضى فترة طفولته وشبابه في بيت الرسول صلى الله عليه وآله ولذا، فإنّ نفقات معيشته كانت هي نفسها نفقات بيت رسول الله صلى الله عليه وآله. وعندما كان علي عليه السلام في المهد، طلب الرسول من فاطمة بنت أسد وضع مهده إلى جانب فراشه. حيث تولى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله شخصياً رعاية علي عليه السلام في بيته. ولذكاء وحذاقة وتدبير الإمام حرص رسول الله صلى الله عليه وآله على تفويض مسؤولية تدبير بعض نفقاته الشخصية إليه؛ إذ إنّه وأثناء قرار الرسول بالجهر عن رسالته السماوية، وفي وقت لم يبلغ فيه عمر الإمام ثلاثة عشر عاماً عهد إليه مسؤولية إعداد الطعام ومستلزمات الضيافة لأربعين من كبار شيوخ بني عبد المطلب، فما كان من الإمام سوى تنفيذ هذه المهمة على أفضل ما يكون[2].

٢ ـ ١ ـ نفقات الزواج

تزوج الإمام علي عليه السلام في العام الأول للهجرة وكان يبلغ من العمر

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص٢٠٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٤٤؛ الشيخ الصدوق؛ علل الشرايع، ص١٧٠، ح٢.



آنذاك (٢٤) عاماً. وبالرغم من أنّ قلب الإمام في ذلك الوقت كان مفعماً بالحب والإيمان بالله إلا أن جيبه كان خالياً من درهم أو دينار. ومع ذلك، تقدّم الإمام لخطبة السيدة الزهراء ﷺ من الرسول. وقد نقلت الروايات أرقاماً مختلفة عن مقدار مهر السيدة فاطمة ﷺ نظير ٤٠٠ أو ٤٨٠ أو ٥٠٠ درهم[1]. وفي مسند أبي يعلي نقل عن لسان الإمام علي ﷺ:

«لما تزوجت فاطمة قلت: يا رسول الله ﷺ ما أبيع فَرَسي أو درعي؟ قال: «بع درعك»، فبعتها بثنتي عشرة أوقية، فكان ذاك مهر فاطمة»[2].

وقد أقيمت مراسم زفاف الإمام علي ﷺ وفاطمة ﷺ في شهر شوال من العام الثاني للهجرة بعد واقعة بدر[3]. وطبقاً لسنّة رسول الله ﷺ لا بد من اقتران مراسم الزواج بإقامة الوليمة. ولذا فقد قام الإمام علي ﷺ بذبح شاة وتقديم الدعوة لجمع من الصحابة للمشاركة في هذه الوليمة[4].

٣ ـ السكن والأثاث

قام رسول الله بتهيئة أثاث منزل الإمام بثمن المهر. وذكر ابن

---

(١) راجع: ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٥١؛ محمد بن سعد كاتب الواقدي: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢١.

(٢) التميمي الموصلي: مسند أبي يعلى الموصلي، ج١، ص٢٤٦، ح٤٦٦.

(٣) فيما يتعلق بتحديد الشهر الذي تم فيه زفاف الزهراء ﷺ، هناك اختلاف بين الأشهر: ذي الحجة وذي العقدة وشوال، ويذهب صاحب كتاب كشف الغمة إلى أنّ ذلك حصل في ذي الحجة من العام الثاني للهجرة، وهو الأصوب بنظرنا.
(راجع: علي بن عيسى الأربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج١ ص٣٦٤؛ الطوسي: الأمالي، ج٤٣، ص٤٧؛ أبا جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٨٦.

(٤) راجع: محمد بن سعد كاتب الواقدي: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢١٨؛ الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ح٣٧٧٤٤.



شهرآشوب قطع الأثاث التي تشكل منها جهاز العرس للسيدة الزهراء عليها السلام بهذا الشكل: وكان مما اشتروه قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيبرية وسرير مزمل بشريط، وفراشات من خيش مصر حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من جز الغنم وأربعة مرافق من أدم الطائف حشوها إذخر وستر من صوف، وحصير هجري ورحاء اليد وسقاء من أدم ومخضب نحاس وقعب لبن وشن للماء ومطهرة مزفتة وجرة خضراء وكيزان خزف»[1].

يقال: إنّه وعندما أحضر أبو بكر وسلمان الفارسي وبلال هذه الحاجيات إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فاضت عينا الرسول بالدموع لحظة رؤية هذه الحاجيات؛ ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهمَّ بارك لقوم أكثر أوانيهم من الفخار»[2].

أما البيت الذي استأجره علي عليه السلام في البداية للحياة الزوجية المشتركة، فكان يقع في مكان بعيد[3]، وبعد الاقتران طلب رسول الله صلى الله عليه وآله منهم السكن بجواره لكنّه لم يكن هناك بيت فارغ قريب منه، حتى توفّي حارثة بن النعمان فنزلا فيه ليجاورا رسول الله صلى الله عليه وآله[4]، ويقع هذا البيت حالياً داخل الضريح[5].

---

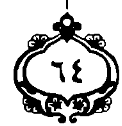
(١) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٥٢، نقلا عن: الطوسي: الأمالي، ج٤٠، ص٤٥.

(٢) راجع: الحنفي الخوارزمي: المناقب، ص٢٤٩، ح٢٦٤؛ علي بن عيسى الأربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج١، ص٣٥٩.

(٣) راجع: السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج٢، ص٩٣.

(٤) رسول جعفريان: تاريخ سياسي إسلام، تاريخ خلفا، ج٢، ص١٩٩؛ محمد بن سعد كاتب الواقدي: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٢.

(٥) راجع: السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٢، ج٣، ص٤٦٦؛ محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٤، ص٥٥٥، ح٨.



لم تذكر الكتب التاريخية امتلاك الإمام لمنازل أخرى، إلّا أنّ أحد نصوص سندات الوقف الخاصة به يشير إلى امتلاكه بيتاً في محلة بني زريق الواقع حالياً غرب مسجد النبي مقابل باب السلام[١].

وطبقاً للأدلة الموجودة أيضاً فقد كان للإمام بيت آخر في ينبع، وقد امتنع الإمام عن تشييد دار جديدة له أثناء فترة خلافته. وفي حديث للإمام الباقر عليه السلام عن أوضاع سكن الإمام في هذه المرحلة ـ وكما أشرنا في السابق ـ ينقل التالي: **«لقد ولي الناس خمس سنين فما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطيعة ولا ورث بيضاء ولا حمراء إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطاياه أراد أنْ يبتاع لأهله بها خادماً»**[٢]. **وعندما سُئل الإمام في الكوفة: «أيّ القصرين ننزلك؟ قال: قصر الخبال لا تنزلونيه، فنزل على جعدة بن هبيرة المخزومي»**[٣].

ويستفاد من هذه الروايات ووصايا الإمام لأصحابه في بساطة المسكن[٤] معارضته للبذخ والتوسّع في السكن أكثر من الحاجة.

٤ ـ ١ ـ نفقات الطعام..

شكّلت نفقات الطعام في نموذج استهلاك الإمام أقل الأرقام في حدود التقدير. فقد نُقلت قصص مثيرة ومذهلة عن تقشفه وقناعته في استهلاك الطعام والشراب[٥]. فكان عليه السلام يتناول على الدوام قرص الشعير المعد من الطحين غير منزوع القشر؛ بحيث كانت قشور الطحين واضحة

(١) الطوسي: تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، ج٩، ص١٣١، ح٥٦٠.
(٢) محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٨، ص١٠٠ و١٣٠.
(٣) نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفين، ص٥.
(٤) كنموذج، راجع: رسالة الإمام إلى شريح القاضي حينما سمع أنّه اشترى بيتاً بثمانين ديناراً (نهج البلاغة، الرسالة ٣).
(٥) راجع: محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٩، صص ٣٤٩ ـ ٣٥٦.



كل الوضوح على الطبقة السطحية للخبز. وكان هذا الخبز يابساً إلى حد لا يمكن تقطيعه إلا بضربه على الركبة. وكان الإمام يحتفظ بهذا الخبز في داخل صندوق أو جراب محكمة الإغلاق لئلّا يقوم الآخرون وبدافع الشفقة بوضع شيء من السمن أو الزيت عليه. ويشير الإمام إلى ذلك بالقول: **«أما والله، ما أختم عليه بخلاً عليه، ولكني أبتاع قدر ما يكفيني، فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره، وأما حفظي لذلك، وأكره أن أدخل بطني إلا طيباً»**(١).

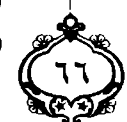
وطعام الإمام في الغالب لم يتجاوز الخل والملح ودهون النباتات والحيوانات (الزيت) والحليب والتمر، أما اللحم فكان يتناوله عملاً بسنّة الاضاحي. وفي أحد الأيام تم إعداد نوع من الحلوى من الطحين والسكر والعسل باسم الفالوذج فأبى الإمام تناولها وقال: **«شيء لم يأكل منه رسول الله ﷺ لا أحبّ أن آكل منه»**(٢).

وفي رواية أخرى قال: «إنّ الحلال طيب، وما هو بحرام، لكني أكره أانْ أعوّد نفسي ما لم أعوّدها»(٣).

كان أمير المؤمنين عليه السلام خلافاً لسيرته هذه يطعم الآخرين بأفضل ما لديه من طعام نظير خبز الدقيق واللحم ودون أيّ تضييق يذكر، إلّا من رغب بإرادته في مشاركة الإمام الطعام البسيط، وكما هو منقول عن مشاركة السيدة فاطمة عليها السلام مع أطفالها في هذه التضحية(٤). وعليه، فإنّ العمل بهذه السيرة لم يكن مرده ضعفاً في القدرة الشرائية أو بخلاً.

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٥٠.
(٢) المناقب للخوارزمي: ١١٩/ ١٣١.
(٣) المحاسن: ٢/ ١٧٨/ ١٥٠٢.
(٤) راجع: محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٩، ص٣٥٥، ح٤٥٨٣ ـ ٤٥٨٤.



لا يجوز التصور بأنّ امتناع الإمام عن تناول الأطعمة المباحة بمعنى الإمساك عن التمتع باللذات الحلال أو تحريمها، أو أنّه يوصي الآخرين للعمل بهذه الطريقة؛ لأنّ الإمام من خلال أحاديثه[1] يعرّف المسلم السلوك المثالي في إطار مراعاة حدود الاعتدال، وكان يسعى إلى تحويل هذا السلوك إلى قاعدة اجتماعية. وعليه، يجب البحث عن سر هذا السلوك وهو أنّ الإمام ليس فرداً عادياً بقدر ما يشكل أسوة ونموذجاً لا إصلاح الانحرافات الاجتماعية ودفع المجتمع نحو الاعتدال. ومن الضروري أنْ يشكل نموذجه الشخصي درجة أعلى ممّا يدعو إليه الآخرين.

المجتمع المثالي من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام هو ذلك المجتمع الذي يتيح للجميع وتحديداً لذوي الدخل المحدود الحصول على ما يحتاجونه من طعام وبسهولة. والاستراتيجية المناسبة للوصول إلى هذا الهدف تكمن في امتناع الشرائح الغنية عن الإسراف في استهلاك الطعام. إلا أنّ الإنسان بطبيعته يبحث عن اللذات ويعتبر الإسراف في الأكل والتخمة وسيلة للتنعم، ولذا فهو يتجاوز حدود الاعتدال في استهلاك الطعام. وإنّ تفشي هذه الظاهرة سيؤدي بلا شك إلى هدر الموارد وتعميم حالة الفقر الغذائي بين المحتاجين والفقراء. ولأجل تغيير هذا الأسلوب في الاستهلاك لا بد للمجتمع من البحث عن نموذج أو أسوة، وإنّ الإمام بقدرته الاقتصادية واقتداره الروحي والمعنوي وموقعه الاجتماعي وماضيه الديني الناصع يمثل أفضل تجسيد لعناصر هذه الأسوة.

ورسالة الإمام إلى عثمان بن حنيف، عامله على البصرة فيما يتعلق بمشاركته في وليمة فخمة لأحد أغنياء البصرة تبيّن بوضوح السلوك

(١) راجع: ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٧٤؛ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٣١، ص٥٩.



الأمثل للإمام في هذا الاتجاه، فالإمام وبعد تأنيب عامله بشدة لمشاركته في هذا المحفل يسعى إلى تبيان سلوكه الشخصي والدعوة للعمل به:

«ألاَ وإنّ لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألاَ وإنّ أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعامه بقرصيه، ألاَ وإنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد...»[1].

ومن جهة أخرى أخذ الإمام يعاتب أولئك الذين أساؤوا فهم سيرته عبر حرمان أنفسهم من لذات الأطعمة المباحة والمحللة، ومن خلال التركيز على الفارق بينه وبينهم بسبب توليه قيادة المجتمع الإسلامي كان يدعو هؤلاء إلى الاعتدال في الاستفادة من النعم الإلهية. وحوار الإمام مع عاصم ابن زياد حيال هذه النقطة جدير بالتذكير. فلدى سماع الإمام باعتكاف عاصم وحرمان نفسه من طيبات نعم الله واعتزاله الحياة أرسل في طلبه وأخذ بتوجيه اللوم والعتاب له بوجه تعلو قسماته الغضب قائلاً: «أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أخذك منها أنت أهون على الله من ذلك؟ أوليس الله يقول: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرّحمن: ١٠] ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾[2]؟ أوليس الله يقول: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرّحمن: ١٩] ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[3] إلى قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[4] فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال وقد قال الله عزوجل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[5]. فقال عاصم: يا أمير المؤمنين،

---

(١) راجع: محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٤، ص٥٢، ح٤؛ عبد الواحد الآمدي التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم، ح٥١٤، ٥١٥و٤١٣٨.

(٢) نهج البلاغة، الرسالة٤٥.

(٣) (الرحمن (١٠): ١١).

(٤) الرحمن: ١٩ ـ ٢٢.

(٥) (الضحى: ١١).



فعلامَ اقتصرت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة؟ فقال: ويحك إنّ الله عزوجل فرض على أئمة العدل أنْ يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره، فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء»[١].

٥ ـ ١ ـ نفقات الملبس

تشكل نفقات الملبس مصروفات مهمة للفرد. فاللباس يعد الوسيلة للحفاظ على الجسم من البرد والحر، والغطاء الظاهري لأعضاء الإنسان يمثل الأساس لحفظ ماء الوجه والكرامة الاجتماعية وإبراز النعم الإلهية. ومن جهة أخرى، فإنّ اللباس قادر على الوفاء بحاجة الإنسان للمظاهر الجمالية. يمثل توفير اللباس إلى حد الاعتدال أمراً ضرورياً لنشاط وسلامة الحياة، أما العكس من ذلك أي البذخ بهدف التفاخر والتكبر فيشكل حالة سلبية لتعميق المشاكل الاجتماعية والاقتصادية.

الإمام علي عليه السلام خلال حديثه يؤكد ـ كما مر سابقاً ـ على مراعاة الاعتدال سيما أنّ نفقات لباسه شكلت الأقل الممكن من الاستهلاك. كان لباس الإمام في الغالب يتألف من ثلاثة أقسام: سروال بطول نصف الساق! وجُبّة تصل إلى فوق القدمين ورداء يغطي المقدمة حتى الصدر وإلى الخاصرة من الخلف. ويتشكل نوع هذه الألبسة في الغالب من قماش قطني خشن أو من الصوف ذي اللون الأبيض بحيث لا تتجاور قيمته أكثر من ثلاثة أو أربعة دراهم أو دينار واحد. وكان يعمل على قص كم الجبة في حال الزيادة أو في مقدار طول الجبة في حال وجود إضافة

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص٤١٠، ح٣؛ راجع: نهج البلاغة، خطبة ٢٠٩.



فيه، ويحرص على ترقيع لباسه بنفسه ويمتنع عن شراء الألبسة الجديدة[1]. وقد أشار مرة لهذا الموضوع وقال: «**والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك؟ فقلت: اغرب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى**»[2].

وفي ردّه على أولئك الذين اعترضوا على بساطة وقدم أو قياس لباسه قال الإمام: «**(هذا اللباس) يقتدي به المؤمنون ويخشع له القلب وتذل به النفس ويقصد به المبالغ، وفي رواية أشبه بشعار الصالحين**» وفي رواية «**أحصن فرجي**» وفي رواية: «**هذا أبعد لي من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم**»[3].

وفي تحليل سيرة الإمام علي عليه السلام في التعامل مع اللباس، إضافة إلى الطعام، يمكن الإشارة إلى دور الظروف الزمانية في تحديد نوع اللباس ونفقاته. وخلال نظرة إجمالية يمكن القول إنّ نفقات اللباس خاضعة أساساً إلى التغيير، وذلك وفقاً لمقتضيات الزمان؛ لأنّ تحديد حد الاعتدال في اختيار اللباس قائم على أساس معايير العرفة، والعرف الاجتماعي بدوره خاضع للتغير مع مرور الزمان وذلك وفقاً لتغيّر الواقع نظير ارتفاع القدرة الشرائية للناس والتطورات الفنية في مجال إنتاج اللباس أو تغيّر الأذواق العامة أيضاً.

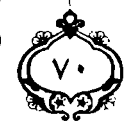
ونموذج لباس الإمام علي عليه السلام لم يكن استثناء من هذه القاعدة. وبالرغم من عدم تطابق نموذج لباسه مع توقعات البعض من الناس

---

(١) راجع: محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٩، صص ٣٥٧ ـ ٣٦٤.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٦٠.

(٣) راجع: ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٩٦؛ أبا عبد الله أحمد محمد بن حنبل الشيباني: فضائل الصحابة، ح١، ص٥٣٦، ح٨٩٤.

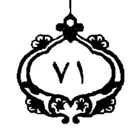


والنابعة أساساً من مقارنة الإمام مع بعض القادة السياسيين في ذلك العصر، إلا أنّه كان يتطابق وبشكل كامل مع نموذج لباس عامة فقراء ذلك الزمان. والأخبار الواصلة والمثيرة للعواطف عن لباس المسلمين في صدر الإسلام خير دليل على هذا الادعاء. ففي العقد الأول للهجرة، امتاز وضع ثياب مجموعة من صحابة الرسول المعروفين بأصحاب (الصُّفة) بحالة مزرية للغاية، حتى أنّ البعض منهم كان يخفي نفسه عن الأنظار خجلاً من فقره[1]. ولباس البعض من هؤلاء أيضاً كان من الكتان السميك الذي لطالما تسببت خشونته في تقرح الجلد مما دفع بهم إلى الشكوى لدى الرسول من خشونة هذا اللباس[2]. ويقول واثلة بن الأسقع: «رأيت ثلاثين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون خلف رسول الله ﷺ في الأرز، أنا منهم»[3]. وقال أبو هريرة: «لقد كان أصحاب الصفة سبعين رجلاً ما لهم أردية»[4].

ففي يوم من الأيام وأثناء جلوس الرسول مع جمع من الصحابة، دخل عليهم أمير المؤمنين وجلس إلى جوار الرسول مرتدياً ثياباً بالية بحيث كانت أجزاء من جسمه ظاهرة للعيان بسبب تمزق لباسه. فنظر إليه الرسول لحظة ولدى مشاهدته حالة ثياب الإمام تلا هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[5].

---

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء، ج١، ص٣٤٢.
(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٦، ح٤٢٩٠؛ البيهقي: السنن الكبرى، ج٢، ص٦٢٤، ح٤٣٣٧.
(٣) محمد بن سعد كاتب الواقدي: الطبقات الكبرى، ج١ ص٢٥٥.
(٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٨، ح٤٢٩٢.
(٥) الحشر: ٩.



وقال: «أمّا إنّك رأس الذين نزلت فيهم هذه الآية ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وسيدهم وإمامهم». ثم قال رسول الله ﷺ: «أين حلتك التي كسوتكها يا علي؟ فقال: يا رسول الله، إنّ بعض أصحابك أتاني يشكو عراه وعري أهل بيته فرحمته فآثرته بها على نفسي وعرفت أنّ الله سيكسوني خيراً منها...»[1].

وقد شكلت بساطة لباس الإمام في تلك الأيام، وكما قال رسول الله ﷺ، تجسيداً رائعاً للإيثار وطبقاً لمعايير ذلك الزمان أيضاً. إلا أنّه في العقود اللاحقة أي في عصر الأئمة السجاد والصادق والرضا عليهم السلام اختلف الحال بسبب انتعاش الحالة الاقتصادية، وازدهر مستوى الوضع العام للباس الناس وبشكل كبير نحو الأفضل. وعليه، فإنّ نموذج لباس أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن مقبولاً لدى أفراد المجتمع آنذاك؛ ولذا ينقل عن الإمام السجاد عليه السلام بأنه كان يرتدي ثياباً من الحرير بقيمة (٥٠) ديناراً[2]. وسيرة الإمام الصادق عليه السلام شبيهة بهذه الحالة أيضاً[3]. الإمام الصادق عليه السلام وفي معرض ردّه على اعتراض البعض ممن رأوا في لباسه أمراً مخالفاً لسيرة أمير المؤمنين عليه السلام، أشار إلى تغيّر الظروف الزمانية كمبرر لذلك. وينقل عن سفيان الثوري أنّه خاطب الإمام الصادق عليه السلام بلهجة معترضة إذ قال: **«أنت تروي أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن وأنت تلبس القوهي والمروي! قال: ويحك، إنّ علي بن أبي طالب كان في زمان ضيق، فإذا اتسع الزمان فأبرار الزمان أوْلى به»**[4].

---

(١) راجع: محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٦، ص٦٠، ح٤.
(٢) راجع محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٦، ص٤٥ و٤٥١، ح١ و٤.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤١١، ح٤؛ أبو علي فضل بن حسن الطبرسي: مكارم الأخلاق، ج١، ص٢٢٠ ح٧٤٨.
(٤) أبو علي فضل بن حسن الطبرسي: مكارم الأخلاق، ج١، ص٢١٨، ح٤٦٢.



لكنّنا نسأل: لماذا ظلّ الإمام علي عليه السلام يحرص على بساطة ثيابه على الرغم من تغيّر الحالة الرفاهية للمسلمين بسبب تنامي رقعة الفتوحات الإسلامية؟ أولاً، في العقد الثاني للهجرة ـ وعلى خلاف العقد الأول ـ، وكما تشير الشواهد التاريخية، قد طرأ تحسّن نسبي على لباس الإمام[1]. ثانياً، وبالرغم من ارتفاع نسبة الدخل العام للمسلمين بشكل كبير في زمن الخليفتين الثاني والثالث، إلا أنّ غياب التوزيع العادل لهذه الثروات أدى إلى ظهور الفوارق الطبقية في المجتمع الإسلامي؛ بحيث شكّل الأغنياء ثلة قليلة من أفراد المجتمع فيما غرقت الأكثرية في بحر الفقر والفاقة[2].

في هذا الوقت بالذات شكلت بساطة لباس الإمام من جهة نوعاً من المواساة للفقراء، ومن جهة أخرى عنواناً للابتعاد عن الأرستقراطية والرفاهية الطبقية للأغنياء الذين اعتادوا هذه الحياة منذ سنوات. وتشير خطب ومواعظ الإمام في أيام خلافته إلى خطورة ظاهرة الأرستقراطية والترف المفرط في القضاء على المجتمع الإسلامي وانحلاله، حتى إنّ الإمام كان يرى الإصلاح أحد أهم واجباته حيال المجتمع.

ولعل ذم الإمام لطلب الدنيا بشدة في نهج البلاغة، خاصة في الخطبة ١٦٠ يعكس أهمية الأمر لديه عليه السلام، كما أنّ شيوع الرهبانية والتصوف كان يهدد المجتمع في عهد الإمام الصادق عليه السلام، فكان لباسه نوعاً من المواجهة العملية لهذا التهديد[3].

---

(١) راجع: محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٩، ص٣٦٢.

(٢) يشير الإمام إلى ذلك في إحدى خطبه، فيقول: «اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تُبصر إلا فقيراً يكابد فقراً أو غنياً بدّل نعمة الله كفراً». نهج البلاغة: الخطبة ١٢٩.

(٣) راجع: محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٥، ص٦٥، ح١؛ ابن شعبة الحراني: تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ص٣٨٤.



٦ ـ ١ ـ نفقات التربية والتعليم:

إذا اعتبرنا نفقات التربية والتعليم جزءاً من نفقات الأسرة، فإنّها تحظى بأهمية بالغة بالنسبة للإمام علي عليه السلام. وقد نجد منشأ سلوكه وسيرته في هذا الجانب على أساس النظرة التي يحملها للإنسان، لأنّ «قيمة كل امرئ ما يحسنه»[١]. ومن البديهي أنْ تكون نتيجة هذه النظرة صرف الكثير من المال للحصول على العلم والمهارة. وهو ما يشاهد بوضوح في سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وبغضّ النظر عن المباحث الكلامية في علم الإمامة، فالإمام عليه السلام لم يكن له أيّ معلم على مدى حياته سوى الرسول صلى الله عليه وآله. وقد استمر هذا التعليم منذ طفولته حتى آخر لحظات حياة النبي عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام. ففي خطبته المعروفة بالقاصعة في نهج البلاغة يشير الإمام إلى التعاليم الأخلاقية التي وصلته عن طريق رسول الله صلى الله عليه وآله في فترة الطفولة. ويتحدث عن ساعات تتلمذه على الرسول صلى الله عليه وآله فيقول:

«وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلةً وكل ليلة دخلةً، فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي»[٢].

جميع لقاءاتهما كانت درساً بين طالب العلم وأستاذه، ولم تخلُ تلك اللقاءات من الأسئلة والإجابات عليها أو تقديم النصح والدروس والعلوم[٣]. وقد استطاع الإمام أخذ جميع علومه ومعارفه عن أستاذه

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٨.

(٢) راجع: محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج١٠، ص١٥، ح٤٨٢٦ ـ ٤٨٣١.

(٣) المصدر نفسه، ح٤٨١٧ ـ ٤٨٢٥.



الرباني في هذه الفترة[1]. وكانت ذروة تعلم الإمام عندما كان رسول الله ﷺ على فراش الموت. إذ يطلب معلم الإنسانية العظيم تلميذه المحبوب، وعن ذلك يحدثنا الإمام علي عليه السلام فيقول: «**إنّ رسول الله ﷺ علّمني ألف باب من الحلال والحرام ومما كان ومما يكون إلى يوم القيامة، كلّ باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب**». (المصدر السابق: ج١٥، ص١٧، ح٤٨٣٥)

ومن سيرة الإمام التي يقتدى بها في مجال أخذ العلم وطلبه والذي يبين أهمية تخصيص الموارد المالية لشؤون التعليم من وجهة نظر الإمام، سلوكه حين نزول آية النجوى. وعن أسباب نزول الآية[2] فهو أنّ الأثرياء من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يترددون لديه باستمرار للحصول على مكانة اجتماعية بين المسلمين، وقد كان هذا العمل يؤلم الفقراء ويسوؤهم. وبنزول الآية الشريفة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾[3] صار على الأغنياء أن يتصدّقوا على الفقراء قبل أن يتشرّفوا بلقاء رسول الله ﷺ. بعض المسلمين اعتبر ذلك ثمناً للقاء الرسول ﷺ واستصعبوا القيام بذلك، لذلك نسخت الآية بعد فترة. لكن الإمام علياً عليه السلام كان الوحيد الذي يعمل بتلك الآية، وبواسطة دينار واحد كان قد حصل عليه، وفّر عشرة دراهم، فالتقى النبي ﷺ عشر مرات، فكان يعطي في كل مرة درهماً صدقة وفي كل لقاء يتعلم درساً جديداً من الرسول ﷺ.

وكانت التربية والتعليم تحظى بالجدّية في أسرة الإمام عليه السلام أيضاً،

---

(١) المصدر نفسه، صص ٢٣ ـ ٤٧.
(٢) راجع: السيد محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص١٨٩.
(٣) سورة المجادلة (٥٨): ١٢.



لدرجة أنّه يقال: إنّ الإمام الحسين عليه السلام أعطى الذي علم ابنه سورة الحمد الكثير من العطاء وملأ فاه بالذهب[1].

٧ ـ ١ ـ سائر المصاريف:

إضافة إلى المصاريف التي ذكرناها إلى الآن، هناك مصاريف أخرى نجدها في سيرة الإمام، وسوف نشير إليها باختصار. من جملة تلك المصاريف ما يتعلّق منها بالترفيه واللهو البريء، فالإمام يرى أنّ الحلال من اللذائذ يعتبر من العوامل الروحية البناءة التي تؤدي إلى توازن السلوك الإنساني، إذ يقول:

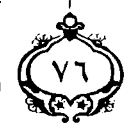
«للمؤمن ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يروم معاشه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها في ما يحل ويجمل، وليس للعاقل أنْ يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مرمة لمعاش، أو خطوة في معاد، أو لذة في غير محرم»[2].

واستناداً إلى الحديث المذكور، يمكن الإشارة إلى مسألتين في قضية المصاريف الخاصة بالنزهة والألعاب في فكر وسلوك الإمام: الأولى، هي أنّ النزهة واللعب جزء من السلوك الذي يعتبر مناجاة الباري عزوجل في ذروته وقمته. لذلك فالنزهة والألعاب البناءة جزء من العبادة ولا تتعارض معها. والثانية، هي أنّ النزهة والترفيه عن النفس يجب أن يكون في إطار الحلال وضمن ما أمرت به الشريعة وأباحته.

وبالنظر لهاتين المسألتين، يمكن التعرف على حدود ودائرة الألعاب والنزهات والقضايا الترفيهية البناءة؛ فعلى سبيل المثال، يمكن للمسلم أنْ يسرّي عن نفسه بالأشياء المفرحة واللذائذ المحللة: الأسفار، زيارة

---

(١) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٦.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٠.



الأماكن العبادية والمشاركة في ألعاب القوى، ممارسة الألعاب مثل ركوب الخيل والرماية وما شابه ذلك. وعلى مستويات أسمى من التكامل المعنوي، قد يتحول الترفيه إلى ممارسة أنشطة روحية ناتجة عن أعمال اقتصادية مفيدة أو إقامه شعائر دينية مثل صلاة الجمعة والجماعة أو الحج أو صلة الأرحام.

وعلى أساس ما تقدم، نجد أنّ سيرة الإمام اشتملت على نشاطات وأعمال من هذا القبيل، بالرغم من أنّ مصاديق هذه النشاطات قد نجدها في مستويات روحية سامية.

وهناك المصاريف الخاصة بالنظافة والعلاج والسواك والتطيب وهذه بالتأكيد موجودة في سيرة الإمام[1].

كما نجد في سيرة الإمام مصروفات النقل، وقد أوردنا فيما سبق رواية عن خطوبة وزواج الإمام، تبين أنّ الإمام كان يملك ناقة أو حصاناً حتى قبل زواجه.

٢ ـ مصاريف المشاركة الاجتماعية:

مصاريف المشاركة الاجتماعية يقصد بها الاستثمارات والإمكانيات التي يوظفها الفرد بشكل طوعي في المجالات ذات النفع العام، مثل مساعدة المحتاجين، بناء مسجد أو مدرسة وما شابه ذلك. ونجد في القرآن الكريم عشرات الآيات، وفي أحاديث المعصومين الآلاف من الروايات التي تحث على القيام بذلك وبيان أهميته[2].

وتأتي أهمية هذه المصاريف في الإسلام، لدورها البناء في تحقيق

(١) حسين محدث النوري: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج١، ص٤١٩.
(٢) راجع: السيد رضا الحسيني: الكوي تخصيص درآمد ورفتار مصرف كننده مسلمان، صص ١٥٢ ـ ١٥٨.



العدالة الاجتماعية والاقتصادية أولاً، خاصة وأنّ المشاركة الطوعية في تخصيص الأغنياء لجزء من عوائدهم للفقراء، لن يترك تأثيراً سلبياً على الدوافع الإنتاجية لديهم، بل على العكس فإنّ الثواب المعنوي لهذه الأعمال سيشكل دافعاً قوياً لدى المنتج. كما أنّ التكامل المعنوي للمسلم والذي يعتبر من أهم أهداف الإسلام، مرهونٌ إلى حدّ ما بممارسة مثل هذه الأعمال[1].

ويرى الإمام أنّ أفضل البشر وأكملهم هو الذي يكون نافعاً للناس ويتحمل ثقل أعبائهم[2]. ومن الناحية العملية، كما سنرى من خلال البحث، أنّه عليه السلام كانت له أكثر المشاركة في تأمين المصاريف الاجتماعية. وسوف ندرس تحت بعض العناوين جوانب من المشاركة الاجتماعية للإمام والتي لها أهمية من الناحية الاقتصادية:

١ ـ ٢ ـ تقديم المساعدات المالية المباشرة إلى المحتاجين:

تعتبر مسألة المساعدة المالية المباشرة للمحتاجين والمعوزين، خاصة الأسر التي ليس لها من يعيلها أو العجزة من الذين لا مجال أمامهم لكسب المال وتوفير لقمة العيش، ذات أولوية خاصة في منظومة تخصيص المدخولات والعوائد عند الإمام علي عليه السلام. وقد كانت مسألة ضمان حاجات الغير وتقديمها على حاجاته من خصوصيات سيرته في جميع مراحل حياته.

لم يتصرف الإمام بهذا الشكل في أواخر حياته فقط وبعد تحسن وضعه المالي، بل كان هذا ديدنه حتى في السنوات الأولى للهجرة

---

(١) ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

(٢) خير الناس من نفع الناس. (عبد الواحد الآمدي التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم، ح٥٠٠١) خير الناس من تحمل مؤونة الناس (المصدر نفسه، ح٥٠٠٢).



وعسر الحال، إذ إنّ الكثير من آيات القرآن الكريم نزلت في إيثاره وتضحياته وإنفاقه، ومن أشهرها آية الإيثار[1]. فقد نزلت هذه الآية عندما ذهب الإمام بضيف لرسول الله ﷺ إلى بيته، فقدّمت أسرة الإمام طعامها إلى الضيف وباتت هي على جوع[2]. كما أنّ آيات سورة الليل[3] نزلت أيضاً في وصف إنفاق علي عليه السلام. وقد ورد في أسباب نزول هذه الآيات أنّ الإمام اشترى بستاناً من رجل ثري، وأهداه إلى رجل فقير كان يسكن إلى جانب البستان وجاء يشكو إلى رسول الله معاملة صاحب البستان الفظة مع أطفاله. وقد ثمّن الباري عزوجل هذا الإنفاق بأن أنزل هذه الآيات[4]. آية الولاية[5] نزلت عندما تصدّق الإمام علي عليه السلام بخاتمه إلى رجل محتاج وهو راكع في الصلاة[6].

ومن المشهور أيضاً نزول آيات من سورة الدهر[7] في إنفاق الإمام وأهل بيته (أسرته). ونجد في هذه الآيات إشارة إلى ما قام به الإمام وأسرته حيث وهبوا إفطارهم وهم صيام على مدى ثلاثة أيام متتالية لمسكين ويتيم وأسير. وكان لأمير المؤمنين عليه السلام أربعة دراهم، فأنفق واحداً منها في النهار والآخر في الليل، والثالث في العلن والرابع

---

(١) ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(٢) راجع: العروسي الحويزي: تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٢٨٥، ح٥١.

(٣) ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧] ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٨] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليل: ١٩] ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

(٤) الكوفي: تفسير فرات الكوفي، ص٥٦٥، ح٧٢٥.

(٥) ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

(٦) السيد محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج٦، ص٢٢.

(٧) ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الدهر: ٨ ـ ١٠].



بالسرّ، فنزلت الآية ٢٧٤ من سورة البقرة[١] في شأنه[٢]. والآيتان ٣٨ و٣٧ من سورة النور أيضاً نزلتا في إنفاقه، حيث أدى ذلك إلى اهتداء المنفق عليهم[٣].

وتبيّن هذه الآيات والروايات سخاء الإمام في ظروف كان هو أشد حاجة فيها إلى ما ينفقه. ومشاهدة سلوك الإمام في فترات مكنته المالية ما هي إلا استمرار لذلك السلوك الأولي. ففي السنوات الأخيرة من عمره الشريف حيث كانت عوائد محاصيله الزراعية تصل إلى أربعين ألف دينار، فإنّ أغلبها تقريباً كان يصرف على المحتاجين والمعوزين، وكانت حصته من ذلك قليلة إلى حدّ اضطر معها إلى عرض سيفه للبيع في السوق، وهو يقول: «من يشتري مني سيفي هذا، ولو أنّ لي قوت ليلة ما بعته، وفلة صدقته تشتمل حينئذ على أربعين ألف دينار في كل سنة»[٤].

ويقول محمد بن الحنفية: «كان أبي رضوان الله عليه إذا جاءت غلته من ضياعه أخذ قوته لنفسه، وقوت عياله وأمهات أولاده، وأعطى الحسن والحسين قوتهما. وأعطاني قوتي، وأعطى من بلغ من ولده، وأعطى عقيلاً وولده، وولد جعفر، وأمّ هانىء وولدها، وأعطى جميع

---

(١) ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(٢) راجع: محمد بن مسعود العياشي: تفسير العياشي، ج١، ص١٥١، ح٥٠٢.

(٣) ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

(راجع: ابن شهرآشهوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٧٤).

(٤) راجع: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص١١٧، ح٦٨؛ ابن هلال الثقفي: الغارات، ج١، ص٦٣.



ولد عبد المطلب من كان منهم يحتاج إلى أنْ يعطيه، وإلى سائر بني هاشم وإلى ولد عبد المطلب بن عبد مناف، وولد نوفل بن عبد مناف، وإلى جماعة من قريش من كان منهم يحتاج إلى الصلة، وإلى أهل بيوت من الأنصار وغيرهم، حتى لا يبقي منه شيئاً رضوان الله عليه ومغفرته، ولم يسأله أحد شيئاً فردّه إلا بما يرضيه»[1].

«كان أبي عليه السلام يدعو قنبراً بالليل، فيحمّله دقيقاً وتمراً، فيمضي إلى أبيات قد عرفها، ولا يطلع عليه أحداً. فقلت له: يا ابتِ، ما يمنعك أن يدفع إليهم نهاراً؟ قال عليه السلام: يا بني، صدقة السر تطفىء غضب الرب»[2].

وينقل محمد بن الصمت عن أبيه عن عمّه: «رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة وفي يده صحفة يقول: أللهمَّ وليّ المؤمنين وإله المؤمنين وجار المؤمنين، اقبل قرباني الليلة فما أمسيت أملك سوى ما في صحفتي وغير ما يواريني، فإنّك تعلم أني منعته نفسي مع شدة سغبي في طلب القربة إليك غنماً، أللهمَّ فلا تخلق وجهي ولا ترد دعوتي، فأتيته حتى عرفته فإذا هو علي بن أبي طالب فأتى رجلاً فأطعمه»[3].

الحديث عن أساليب الإمام في مساعدة المحتاجين كثير، وللاختصار نشير هنا إلى بعض الخصوصيات المهمة في سيرته بالإنفاق:

أولاً ـ الاهتمام الشديد بالمحرومين: يرى الإمام علي عليه السلام إنّ سدّ حاجة المعوزين هي مسؤولية إنسانية ودينية كبيرة، لا يمكن التغافل عنها

(١) الكوفي: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ج٢، ص٦٨، ح٥٥٢.
(٢) أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص١٤٨.
(٣) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٧٦؛ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤١، ص٢٩.



في أيّ ظروف كانت. وكان الإمام يحمل هذا الشعور بحيث إنّ آلام المحتاجين والبؤساء كانت تجعله في غاية الألم والعذاب. وفي الفترة التي كان الإمام ﷺ يمسك ببيت المال إضافة إلى أامواله الشخصية، كان يتجرع طعم الجوع كل ليلة، وحتى عندما كان يصل المحتاجين والبؤساء القريبين منه أو في الكوفة، كان يفكر بالبعيدين منهم، فيقول ﷺ: «**ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أوَ أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى**»(1)؟

ثانياً ـ الإخلاص في الإنفاق: إنّ الإنفاق وغضّ الطرف عن أتعاب الحياة الجميلة والتي تعتبر زينة الحياة الدنيا، هو من ثمرات التوحيد والإيمان بنعيم الآخرة. وعلي ﷺ الذي يقف على قمة هرم التقوى والإيمان، لم يكن يطمح في مساعدته للفقراء بشيء سوى رضى الله تبارك وتعالى، وليس أفضل من ذلك إلّا كلام الوحي الذي امتدحه بقوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾(2).

ثالثاً ـ مراعاة عزة الفقير واحترامه: عندما يتوجه فقير عزيز النفس إلى غني بالسؤال والحاجة ويقبل منه ما يعطيه إياه يكون قد عرّض جزءاً من عزته وماء وجهه للذهاب جراء ذلك. والمسؤولية في حفظ عزة الفقير واحترامه تنطوي على مسألة مهمة وهي أنّه من الضروري تجنّب إشعار الفقير بالمهانة، بل إكرامه وإعزازه. لذلك كان الإمام علي ﷺ يحاول

(1) نهج البلاغة، الرسالة ٤٥.
(2) الإنسان (٧٦): ٨ ـ ١٠.



تلبية حاجة المحتاج قبل أن يبادر هو بالسؤال، وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل خمسة أوساق من تمر البُغيبغة، وفي نسخة أخرى البقيعة، وكان الرجل ممن يرجى نوافله ويؤمل تائله ورفده وكان لا يسأل علياً ولا غيره شيئاً، فقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: والله ما سألك فلان ولقد كان يجزيه من الخمسة أوساق وسقاً واحداً. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لا أكثر الله في المؤمنين ضربك أعطي أنا وتبخل أنت؟ والله إذا لم أعط الذي يرجوني إلا من بعد المسألة ثم أعطيته بعد المسألة فلم أعطه ثمن ما أخذت منه، وذلك لأني عوضته أن يبذل لي وجهه الذي يعفره في التراب لربي وربه عند تعبده له وطلب حوائجه إليه فمن فعل هذا بأخيه المسلم»[1]؟

وجاء في الروايات أنّ فقيراً كان ينوي سؤال حاجته من الإمام. فعلم الإمام بحاجته، فحال بين طلب حاجته مباشرة، ولكي لا يرى ملامح الذل في وجهه، قال له: **«اكتب حاجتك على الأرض»**[2].

كما أنّ الاستفادة من ظلام الليل لمساعدة الفقراء كان الهدف منها ذلك. فالكثير من اليتامى والبؤساء الذين شملهم عطف الإمام وإنفاقه في ليالي سغبهم وحاجتهم، لم يكونوا يعرفون عن معيلهم سوى محبته ومروءته، ولم يعرفوا اسم ذلك الرجل الذي كان يتفقدهم كل ليلة إلا بعد أنْ توقف قلب علي النابض بالحب والخير عن الخفقان.

ويرى أمير المؤمنين عليه السلام أنّ المحتاج والسائل هو رسول من الله ورفض طلبه وصده إنما هو صدٌّ لله. فلم يردَّ سائلاً قط حتى لو كانت يده

---

(١) محمد باقر المجلسي: بحار الانوار، ج٤١، ص٣٦، ح١٢.

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٥٢٣، ح٩٠٤٨؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج٨، ص٩.



خاوية كان يحتضنه بالود والأخلاق ويعده بالعطاء والمساعدة في أقرب فرصة، ألم يتصدق بخاتمه وهو يركع في صلاته. ومرة عندما لم يكن معه ما يعطيه للسائل، بكى بشدة خوفاً من أن يشكوه السائل إلى رب العالمين، فطلب منه أن يعود إليه ويكرر سؤاله ثانية، وبعد أنِ استمع إليه بكى أيضاً، ثم طلب سيفه الذي لطالما دافع به عن حمى رسول الله ﷺ وأعطاه للسائل[1].

رابعاً ـ المباشرة بالدفع: في أغلب الأحيان كان الإمام علي عليه السلام يدفع إلى المحتاجين بيده وبدون واسطة من أحد، وهذا العمل يعتبر تكريماً لمقام السائلين الإنساني وأفضل أنوع المواساة لهم.

خامساً ـ مراعاة خصوصيات الذين يستلمون إنفاقه: ولعل من أهم العبر التي يمكن أخذها في طريقة الإمام بالإنفاق هي الالتفات إلى المنزلة العلمية والمعنوية للمحتاج في تحديد حجم العطاء له. فعندما وهب الإمام قميصه إلى أحد الفقراء ذات مرّة، أنشد الفقير قصيدة في حق الإمام بعد ما لبس القميص، فأعطاه الإمام إكرامية على ذلك بلغت مائة دينار، وردّاً على أحد الذين تعجبوا لهذه الزيادة في العطاء، قال الإمام: «**معت رسول الله ﷺ يقول: أنزلوا الناس منازلهم وهذه منزلة هذا الرجل عندي**»[2].

سادساً ـ تقديم الاقرباء في العطاءات المنتظمة: كان الإمام علي عليه السلام يبدأ بالأقربين من المحتاجين في توزيع عطاياه الشخصية، ويراعي في ذلك قرب الشخص وحجم حاجته، فيدفع إليهم جميعاً[3].

---

(١) أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٦٦٨؛ الكوفي: مناقب الإمام أمير المؤمنين، ج٢، ص٧٥، ح٥٥٨.
(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٣، ص٥٢٣، ح٩٠٤٨.
(٣) راجع: الكوفي: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ج٢، ص٦٨، ح٥٥٢.



وينطلق في ذلك الإمام ﷺ من الآية الكريمة ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾[1]، وهكذا كانت سيرة رسول الله ﷺ في ذلك[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى قضية مهمة للغاية، وهي أنّ الإمام ﷺ لم يكن يميز بين أقربائه والآخرين في توزيع عطايا بيت المال، بل كان يساوي بين الجميع. والتأمل في سلوك الإمام ﷺ الحكيم في المجالين المذكورين، يبين لنا النهج الإسلامي في بسط العدالة الاقتصادية والوحدة الاجتماعية. وهنا يعلمنا إمام الانسانية كيف أنّ الإسلام يفكر بالدرجه الأولى بالمصالح الاجتماعية في الوقت نفسه الذي يسعى فيه لإرضاء الميول الفطرية والعاطفية والأواصر النسبية بين الأفراد. ولقد أوضح لنا الإمام بشكل جيد مكانة هذين الأمرين من خلال سيرته.

وفي تحليلنا لهذا القسم من سيرة الإمام الاقتصادية، نجد من الضروري الالتفات إلى أنّه كان يدعو الناس في خطبه إلى الاعتدال في الإنفاق[3]. وقد فسّر الاعتدال في الإنفاق، بأنّ الفرد بعد أن يؤمّن حاجات أسرته (الكفاف العرفي) يساعد الآخرين مالياً، ويحفظ في نفسه روح الإيثار لكي يقدّم في الظروف الطارئة الآخرين على نفسه. لكننا، نرى الإمام في الجانب العملي مؤثراً الآخرين على نفسه دائماً، أي أنّ نفقاته الشخصية كانت دائماً قليلة جداً، بينما الإنفاق كان يشكّل النسبة العالية من الدخل. وهذا التصرف من قبل الإمام الذي يعتبر هاديا وموجّهاً لميول الإنسان الطبيعية والذاتية جميل بحد ذاته، لكن بالنسبة لنا

---

(١) الروم (٣٠)؛ البقرة (٢): ١٧٧.

(٢) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: سنن النسائي، ج٥، ص٦١.

(٣) راجع: نهج البلاغة، الرسالة ٢١؛ عبد الواحد الآمدي التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم، ح٦٥٩٦.



يجب أن نتعلّم إنفاق الفائض عن حاجتنا في الظروف العادية وتقديم الآخرين على أنفسنا في الظروف الخاصة.

٢ ـ ٢ ـ وقف[1] الممتلكات على المحتاجين:

الوقف يعدُّ من الحلول الاستراتيجية التقدمية في الإسلام من أجل سدّ الحاجات العامة، خاصة سدّ حاجات الشرائح المستضعفة والمحرومة في المجتمع. وقد تأصّلت سنّة الوقف في نفوس المسلمين منذ عهد رسول الله ﷺ. وذلك من خلال إرشاداته وسلوكه، لدرجة قيل فيه: إنّه لا يوجد أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وأوقف شيئاً. وينقل ابن شبة في تاريخ المدينة المنورة ما أوقفه الرسول ﷺ وأصحابه في المدينة[2]. ومن خلال دراسة هذا الكتاب وسائر المصادر التاريخية والروائية يتّضح دور الإمام عليه السلام؛ إذ جعل جميع الأملاك التي حصل عليها بكدحه وقوته وعرق جبينه وقفاً على المحتاجين، وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يكن لديه من مال الدنيا سوى سبعمائة درهم كانت حصته من بيت المال وكان يريد بها سدّ حاجة أسرته[3].

فعندما جرت على يديه الكريمتين مياه ينبع العذبة في تلك الصحراء قال الذين شاهدوا ذلك: «البشرى لورثة علي»! لكنّه يبشر الوارثين لهذا الملك كالتالي:

«بشر الوارث، تصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله

---

(١) الوقف عبارة عن تحويل الملكية الفردية والخاصة إلى ملكية عامة في سبيل الله والناس، وباعتبار الشرائح التي يتم الوقف لها، يقسم المال إلى قسمين: وقف عام، ووقف خاص. (راجع: محمد هومن: قاموس الألفاظ والمصطلحات الاقتصادية ص٢٠٩بالفارسية).

(٢) أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص١٧٣ ـ ٢٣١.

(٣) راجع: أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: فضائل الصحابة، ج١، ص٥٤٨، ح٩٢٢؛ التميمي المغربي: دعائم الإسلام، ج٢، ص٣٤٠.



وأبناء السبيل والقريب والبعيد في السلم والحرب، ليصرف الله بها وجهي عن النار ويصرف النار عن وجهي ليوم تبيض فيه وجوه وتسودّ وجوه»[1].

وكان له هذا السلوك نفسه فيما يتعلق بسائر أملاكه. ولعلّ أحد أشهر أوقافه كما ذكرنا سلفاً، بئرا «أبي نيزر وبغيبغة». ويتحدث أبو نيزر عن كيفية حفر هذين البئرين ويقول: «فانثالت كأنها عنق جزور، فخرج مسرعاً، فقال: أُشهد الله أنّها صدقة، عليَّ بدواة وصحيفة. قال: فعجلت بهما إليه، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل؛ ليقي الله بهما وجهه حرّ النار يوم القيامة، لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين، إلا أن يحتاج اليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما»[2].

ويورد ابن شبة في تاريخ المدينة المنورة قائمة مطولة عن موقوفات الإمام علي عليه السلام، وللاختصار نشير هنا إلى رسالة وقف كاملة وردت ضمن وصية الإمام علي عليه السلام، وقد ذكرت في مصادر متعددة مع بعض الاختلافات الجزئية، أمّا النصّ الذي ننقله هنا فهو عن الكافي وسنشير إلى اختلافه مع تاريخ المدينة المنورة[3] كلمة داخل قوسين:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به وقضى به في ماله عبد الله عليٌّ ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار ويصرف النار

---

(١) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٧٤؛ محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٧، ص٥٤، ح٩٤؛ الطوسي: التهذيب، ج٩، ص١٤٨، ح٦٠٩.

(٢) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٤، ص٣٨٨، ح٣٨٩؛ أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (مبرد): الكامل في الأدب، ج٣، ص١١٢٧، الكوفي: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ج٢، ص٨١، ح٥٦٨.

(٣) أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٢١٩ ـ ٢٢٩.



عني يوم تبيّض وجوه وتسودّ وجوه. إنّ ما كان لي من مال ينبع يعرف لي فيها وما حولها صدقة ورقيقها، غير أنّ رباحاً وأبا نيزر وجبيراً عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل؛ فهم مواليّ يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم وأرزاق أهاليهم؛ ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى كلّه من مال لبني فاطمة ورقيقها صدقة، وما كان لي بديمة وأهلها صدقة غير أن زريقاً له مثل ما كتبت لأصحابه؛ وما كان لي بأذينة وأهلها صدقة والفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله، وإنّ الذي كتبت من أموالي هذه صدقة واجبة بتلة حيّاً أنا أو ميتاً ينفق في كل نفقة يبتغى بها وجه الله في سبيل الله ووجهه، وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد، فإنه يقوم على ذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفقه حيث يراه الله عز وجل في حل محلل لا حرج عليه فيه، وإنْ شاء جعله سرى الملك، وإنّ ولدَ عليٍّ ومواليهم وأموالهم إلى الحسن بن علي، وإنْ كانت دار الحسن بن علي غير دار الصدقة فبدا له أن يبيعها فليبع إنْ شاء لا حرج عليه فيه، وإنْ باع فإنّه يقسّم ثمنها ثلاثة أثلاث؛ فيجعل ثلثاً في سبيل الله، وثلثاً في بني هاشم وبني المطلب، ويجعل الثلث في آل أبي طالب، وإنه يضعه فيهم حيث يراه الله، وإنْ حدث بحسن حدث وحسين حي فإنّه إلى الحسين ابن علي، وإنّ حسينا يفعل فيه مثل الذي أمرت به حسناً له مثل الذي كتبت للحسن وعليه مثل الذي على الحسن، وإنّ لبني (ابني) فاطمة من صدقة عليٍّ مثل الذي لبني علي، وإنّي إنّما جعلت الذي جعلت لابنَي فاطمة ابتغاء وجه الله عزوجل وتكريم حرمة رسول الله ﷺ وتعظيمهما وتشريفهما ورضاهما، وإنْ حدث بحسن وحسين حدث فإنّ الآخر منهما ينظر في بني علي، فإنْ وجد فيهم من يرضى بهداه وإسلامه وأمانته فإنه يجعله إليه إنْ شاء، وإنْ لم يرَ فيهم بعض الذي يريده فإنه يجعله إلى رجل من آل أبي طالب يرضى به، فإنْ



وجد آل أبي طالب قد ذهب كبراؤهم وذوو آرائهم فإنّه يجعله إلى رجل يرضاه من بني هاشم، وإنّه يشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله وينفق ثمره حيث أمرته به من سبيل الله ووجهه، وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث، وإنّ مال محمد بن علي على ناحيته وهو إلى ابنَي فاطمة، وإنّ رقيقي الذي في صحيفة صغيرة التي كتبت لي عتقاء.

هذا ما قضى به علي بن أبي طالب في أمواله هذه الغد من يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الآخر، أن يقول في شيء: قضيته من مالي ولا يخالف فيه أمري من قريب أو بعيد.

أما بعد، فإنّ ولائدي اللائي أطوف عليهن السبعة عشر منهن أمهات أولاد معهن أولادهن ومنهن حبالى ومنهن من لا ولد له؛ فقضاي فيهن إنْ حدث بي حدث أنه من كان منهن ليس لها ولد وليست بحبلى فهي عتيق لوجه الله عزوجل ليس لأحد عليهن سبيل، ومن كانت منهن لها ولد أو حبلى فتمسك على ولدها وهي من حظه فإنْ مات ولدها وهي حية فهي عتيق ليس لأحد عليها سبيل، هذا ماقضى به علي في ماله الغد من يوم قد مسكن شهد أبو سمر بن أبرهة وصعصعة بن صوحان ويزيد بن قيس وهياج بن أبي هياج، وكتب علي بن أبي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين»[1].

هذه الموارد من الموقوفات التي تحدث عنها الإمام، كانت وقفاً عامّاً، لأنه في جميع هذه الموارد، أوقف أمواله في سبيل الله ولكسب

(١) محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٧، صص ٤٩ ـ ٥١؛ أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، صص ٢٢٥ ـ ٢٢٨؛ التميمي المغربي: دعائم الإسلام، ج٢، ص٣٤١، ح١٢٨٤؛ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤١، ص٤٠، ح١٩.



رضاه سبحانه وتعالى. والعنوان العام للصرف فيها هو «في سبيل الله». وفي مثل هذه الموارد العامة يمكن للواقف أن يضع عناوينَ فرعية مثل: الفقراء، العلماء، الرحم والأقرباء بأنْ تكون لهم الأولوية في ذلك، ولهذا الشكل نجد أنّ الإمام أعطى أولوية خاصة لأرحامه.

وإضافة إلى الوقف العام، كانت له موقوفات خاصة أيضاً. منها وقف بيت في محلة بني زريق لخالته، ويتحدث الإمام الصادق عن نص رسالة الوقف التي كتبها الإمام علي عليه السلام فيقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به علي بن أبي طالب وهو حي سويٌّ بداره التي في بني فلان بحدودها صدقة لا تباع ولا توهب، حتى يرثها الله الذي يرث السماوات والأرض وانه قد أسكن صدقته هذه فلاناً وعقبه، فإذا انقرضوا فهي على ذي الحاجة من المسلمين»[1].

تحليل لسيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام في الوقف:

إنّ الاهتمام المتزايد الذي يبديه أمير المؤمنين عليه السلام بالوقف، مع الأخذ بعلمه ودرايته، يوحي بأهمية هذه السنّة في المذهب الاقتصادي الإسلامي. ومع الأخذ بهذه الستراتيجية التي اتبعها الإمام، نجد من الضروري جداً النظر إلى الوقف باعتباره مؤسسة اقتصادية هامة وفاعلة. ولعل من خصوصيات الوقف الأساسية، هو أنّ إدارته تختلف إلى حدّ كبير مع أداء القسمين والقطاعين الاقتصاديين الآخرين، أي القطاع الخاص والقطاع العام، فهو يشبه القطاع العام من حيث موارد الصرف التي تهدف إلى سدّ الاحتياجات العامة، ويشبه القطاع الخاص، لأنّ مصادره المالية وإدارته من حيث الأصالة تقع على عاتق القطاع الخاص.

---

(١) الطوسي: التهذيب، ج٩، ص١٣١، ص٥٦٠؛ الشيخ الصدوق: كتاب من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٢٤٨، ح٥٥٨٨.



ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار مثل هذه المؤسسات الاقتصادية قطاعاً ثالثاً في الاقتصاد الحديث.

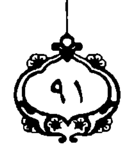
ولسنّة الوقف في المذهب الاقتصادي الإسلامي، مميزات عديدة، هي:

أوّلاً، بسبب وجود دوافع معنوية وإيمانية فيما يتعلّق بالآخرة والثواب، نجد هناك الأرضية اللازمة في المجتمع الإسلامي لممارسة مثل هذه الأنشطة وتثبيتها.

ثانياً، إضافة إلى أنّ سنّة الوقف توجد دوافع قوية ومقدسة للاستثمار من قبل القطاع الخاص، فإنّها تحقق أيضاً أهمّ هدف في الاقتصاد الإسلامي، أي التوزيع العادل للثروة.

ثالثاً، إنّ الوقف استراتيجية اقتصادية جيدة لتحقيق سيادة الشعب الدينية. فمن خلال تدعيم هذه المؤسسة، يمكن تأمين الكثير من الميزانية العامة التي يؤدي الاعتماد على الدولة فيها إلى المزيد من تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، وبذلك يجري تقليل تدخل الدولة في الاقتصاد والحدّ منه. وفي الوقت نفسه، فإنّ الاطمئنان إلى صحّة أداء هذه المؤسسة ضمن إطار الاقتصاد الحديث والظروف القائمة يحتاج إلى دراسات ومداولات فقهية واقتصادية جديدة. وفيما يلي نشير إلى بعض النقاط الأساسية التي نجدها في سيرة الإمام علي عليه السلام فيما يتعلق بالوقف.

إنّ أحد أهمّ سلوكيات الإمام في الوقف، هو الالتفات إلى الدافع المعنوي، خاصة الخوف من غضب الله وعذابه، والرغبة في رضاه والفوز بنعيم جنته. ويمكن أن نرى هذا الأمر في جميع رسائل الوقف التي كتبها الإمام عليه السلام. إضافة إلى ذلك نجد في رسائل الوقف الشفافية



التامة، واستشهاد أشخاص معروفين عليها، وكتابة موارد الوقف وتعيين من يديره ورسم الخطوط العامة لموارد الصرف فيه.

وفي رسائل الوقف تلك التي كتبها الإمام، نجد تأكيداً منه عليه السلام على تقوى وأمانة القائمين على الوقف إضافة إلى كفاءتهم وتدبيرهم. كما أنّ الإمام جعل جميع المحتاجين والعاجزين من موارد صرف الوقف، إلا أنّه أعطى الأولوية في هذا الأمر لأرحامه وأقربائه. وفي هذا الأمر معانٍ تربوية واجتماعية كثيرة ومهمة للغاية.

ومن القرائن والشواهد الموجودة، يمكن القول إنّ أكثر موقوفات الإمام عليه السلام كانت في السنوات الأخيرة من عمره الشريف، على سبيل المثال، الوصية التي فيها موقوفات الإمام والتي أوردناها بالتفصيل، كتبت في العام ٣٧ أو ٣٩ للهجرة. ويرى المبرد في الكامل أنّ تاريخ وقف عين أبي نيزر وعين بغيبغة كان في العام الثاني من خلافته[١]. ونجد في العديد من رسائل الوقف أنّه استخدم لفظة أمير المؤمنين، وهو ما يؤكد كتابتها في فترة خلافته وحكومته. كما أنّ الالتفات إلى هذه النقطة والخصوصية من حيث الاستحسان الشرعي، وهو ضرورة تحليل ودراسة كيفية تجميع الثروة وحجم الإرث الذي يتركه الشخص وكيفية توزيع الثروة، الأمر الذي يحتاج إلى المزيد من الوقت. المسأله الأخرى المهمة في قضية الوقف عند الإمام، هي نسبة الموقوفات مقارنة بمجموع الثروة التي كان يمتلكها. ففي الأقوال الواردة عن الإمام نجد نهياً عن التصدق بجميع المال وحرمان الورثة منه[٢]. كما أننا نجد تأكيداً في الروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله على لزوم ترك مقدار كافٍ من الإرث

---

(١) أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (مبرد): الكامل في الأدب، ج٣، ص١١٢٧.
(٢) الراوندي: النوادر، ص٤١.



للأبناء[1]. لكن وكما رأينا، فإنّ الإمام عملياً جعل كل أمواله تقريباً وقفاً أو صدقة. ومع أنّ الإمام أدّى حقوق أبنائه عن طريق رصد حصص لهم في الموقوفات، لكن من الضروري الأخذ بأسلوبه عليه السلام في الصرف والإنفاق كما مرّ سلفاً عن دراسة مثل هذه الموقوفات.

٣ ـ ٢ ـ عتق العبيد:

في حياة أمير المؤمنين عليه السلام كانت شبه الجزيرة العربية، كغيرها من نقاط العالم تزخر بتجارة الرقيق، بحيث إنّها كانت تؤلف واحدة من أركان النظام الاقتصادي القائم آنذاك، لذلك لم يكن من السهل محاربتها والوقوف ضدها بسرعة، لأنّ الرق كان نتيجة لسلوك الناشطين الاقتصاديين وأحد إفرازات الحروب. وبالرغم من ذلك فقد أعلن الإسلام عدم قبوله بهذه الظاهرة منذ البداية، وأخذ بتطبيق سلسلة إجراءات للقضاء عليها نهائياً. ومن تلك الإجراءات، الحث على حسن التعامل مع العبيد، الدعوة إلى عتقهم طواعية، اعتبار تحرير العبيد أحد الكفارات عن بعض الذنوب، وكذلك تحريرهم بالقوة بشتى الطرق.

ولعل طريقة تعامل الإمام علي عليه السلام مع مسألة الرق تعدّ من أهم الأدلة على معارضته لهذه الظاهرة المشؤومة. فبينما كان الإمام يتقبل في حياته الخاصة أنواع الصعوبات، لم يكن يألو جهداً في العمل على تحرير واستقلال البشر الذين وقعوا دون اختيار في شراك الرق والعبودية، وكانت ثمرة جهوده في هذا المجال تحرير ألف عبد وأمة. وتتضح عظمة ما قام به الإمام، عندما ندرك أنّ هذا العتق كان بأموال حصل عليها لقاء تعبه وكدحه، وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «...

(١) راجع: محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٥، ص٦٧، ح١؛ أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٣، ص١٠٠٦، ح٢٥٩١.



وكان أخوه من بعده والذي ذهب بنفسه ما أكل من الدنيا حراماً قط حتى خرج منها. والله إنْ كان ليُعرض له الأمران كلاهما لله عزوجل طاعة فيأخذ بأشدهما على بدنه؛ والله لقد أعتق ألف مملوك لوجه الله عزوجل دبرت فيهم يداه؛ والله ما أطاق عمل رسول الله ﷺ من بعده أحد غيره...»[١].

وقد أشارت الكثير من المصادر إلى أنّ الإمام أعتق ألفاً من العبيد، واعتبر ذلك من فضائله[٢]. لذلك كان أهل البيت عليهم السلام يحرصون دائماً على إحياء هذه الفضيلة، ولعل من الضروري هنا الإشارة إلى محادثة حصلت للإمام الصادق عليه السلام مع أحد أحفاد الإمام الحسن عليه السلام، في هذه المحادثة يقول الإمام الصادق عليه السلام: «... **وأمّا ما قلت إنّك أعلم مني فقد أعتق جدي وجدك ألف نسمة من كدّ يده فسمِّهم لي، وإنْ احببت أنْ اسميهم لك إلى آدم فعلت»**[٣].

إضافة إلى ذلك، سعى الإمام كثيراً للحيلولة دون وقوع العديدين في شراك الرق. فعند فتح فارس جيء بالأسرى الفرس من الرجال والنساء إلى المدينة، أراد عمر بيع النساء واستعباد الرجال من قبل المسلمين. لكن الإمام عارض ذلك وذكره بحديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه «**أكرموا كريم كل قوم**»، واستطاع الإمام بأسلوبه الخاص الحصول على رضى جميع المهاجرين والأنصار في ذلك، وبهذا الأسلوب حال دون استعباد جميع أولئك الأسرى[٤].

ومع اهتمام الإمام بعتق العبيد، كان له بعضٌ منهم، وكما نجد في

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٨، ص١٦٥، ح١٧٥.
(٢) راجع: محمد محمدي ري شهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، ج٩، ص٣٧٧ ـ ٣٧٨.
(٣) حسين محدث النوري: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج١٣، ح٢٣.
(٤) راجع: محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٥.



وصيته فإنّه حينها كان يملك العشرات منهم، حيث كانوا يعملون في أراضيه. ولا بد هنا من الإشارة إلى نقطتين أساسيتين، هما:

أولاً، كان المسلمون يسترقّون الأسرى بدلاً من قتلهم، حيث كان إطلاق سراحهم يشكل تهديداً للطرفين وذلك بسبب جهل العبيد بالظروف القائمة؛ لذلك كان يتمّ تأهيلهم لدخول المجتمع الإسلامي.

ثانياً، إنّ دخول الأسرى إلى بيوت المسلمين شكّل فرصة جيدة لتأهيلهم ودخولهم الإسلام بالتدريج. وكان الحث على عتق العبيد كفضيلة في الإسلام هو الضمان لتحريرهم وحصولهم على حريتهم.

ومع الأخذ بالنقطتين السالفتين واهتمام الإمام بعتق العبيد، فإنّ امتلاكه لبعض العبيد لا يعني أنّه كان موافقاً لنظام الرق. بالعكس كان ذلك إجراءً لحمايتهم وتربيتهم ومن ثم عتقهم بشكل مشرّف ومقبول.

٤ ـ ٢ ـ بناء المساجد وإصلاح الطرق:

بناء المساجد وتعمير الطرق يعتبر من النماذج القيمة للمشاركة الاجتماعية في سيرة الإمام علي عليه السلام. وكما يورد ابن شهرآشوب في المناقب، فإنّه عليه السلام وإضافة إلى مشاركته في بناء المساجد مثل مسجد النبي، فقد قام ببناء ستة مساجد بنفسه، منها مسجد الفتح في المدينة، في المكان الذي استجاب الله فيه لدعاء النبي صلى الله عليه وآله ونصر المسلمين في غزوة الخندق، بناء مسجد في منطقة أحد مقابل قبر حمزة عليه السلام عم الرسول صلى الله عليه وآله، بناء مسجد في ميقات الحج، وآخر في الكوفة، وفي عبادان (في بلاد فارس)، والمسجد الكبير في البصرة. كما نسب ابن شهرآشوب إليه عليه السلام تعمير الطريق بين المدينة ومكة[1].

(١) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج٢، ص١٢٣.



٥ ـ ٢ ـ سائر الخدمات الاجتماعية للإمام:

لا يمكن حصر أوجه المشاركة الاجتماعية للإمام علي عليه السلام في مثل هذا الكتاب، لذلك سنورد هنا بعض الخدمات الاجتماعية للإشارة إلى ذلك.

كان أمير المؤمنين عليه السلام قد خصص جزءاً من يومه لتعليم الناس، خاصة الفقراء والمساكين منهم. وفي ذلك يقول الإمام الباقر عليه السلام: «... **إلى أنْ تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن**»[١].

ويشير الديلمي أيضاً إلى ذلك في إرشاد القلوب، ويضيف أنّ الإمام وبعد أنْ يفرغ من عمله ذلك، كان يجلس لحل الخلافات بين الناس والنظر في دعاواهم، وبعدها ينصرف إلى أعماله الخاصة[٢].

وكان الإمام عليه السلام يستخدم جميع الفرص، حتى القليل منها لتحقيق أهدافه الاجتماعية. ومن سلوكه الذي لا بدّ من دراسته والالتفات إليه، كيفية تصرّفه أثناء معركة خيبر، ففي هذه الحرب وإثر تقاعس المسلمين عن فتح قلاع خيبر، خاطب النبي صلى الله عليه وآله المسلمين قائلاً: «**سأعطي الراية غداً إلى رجل يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار**».

ولم يكن المقصود بذلك الكلام، سوى علي بن أبي طالب عليه السلام، لكنه كان هذه المرة وخلافاً لعادته غائباً بين الصحابة، وعندما سأل النبي عنه قالوا: «يعمل في المطحنة»، لعل سماع مثل هذا الخبر عن مقاتل مقدام مثل الإمام علي في خضم تلك الظروف، كان أمراً غريباً، لذلك تساءل النبي صلى الله عليه وآله: «لماذا لا يقوم بذلك واحد منكم»؟! كان الإمام يعاني

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٠٩.
(٢) الديلمي: إرشاد القلوب، ج٢، ص٢١٨.



من ألم أو رمد في العين ولا يستطيع النظر، لكنه وبالرغم من ذلك كله لم يسمح له ضميره وروحه العالية أن يبقى مستريحاً دون عمل، فكان يصرف ما أتيح له من جهد في مثل هذه المجالات»[1].

في أحد الأيام شاهد سعيد بن قيس الهمداني، علياً عليه السلام في شدة الحر إلى جانب حائط، فقال للإمام: «في مثل هذا الوقت تخرج من البيت»؟! فأجابه الإمام: **«ما خرجت إلا لأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً»**[2].

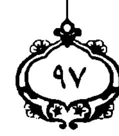
٣ ـ مصاريف الادّخار والاستثمار:

«التوفير» أو «الادّخار» يقصد به المال الذي يجري عزله في الوقت الراهن لكي يصرف في المستقبل. أمّا «الاستثمار» فمعناه إدخال هذه الأموال ضمن عجلة الإنتاج والحصول على الربح. وهذان الأمران (الادّخار والاستثمار) يعتبران من القضايا المهمة في عالم اليوم، خاصة بالنسبة لدول العالم الثالث. ومن النادر أن تكون هذه المسألة قد نوقشت من زاوية إنفاق الدخل الفردي والأسري. فالأساس في عملية الادخار والتوفير والاستثمار هو سلوك الفرد في إنفاق الدخل، لأنّ الاتجاه الاستهلاكي وهدر الموارد المالية أو إبقاءها راكدة لن يؤدّي إلى الاستثمار في مجالات الانتاج، كما أنّ البطالة والكسل لن يوجدا أيّ توفير وادخار.

وفي سيرة الإمام علي عليه السلام الاقتصادية نجد مكانة مهمة جدّاً لمقولتَي التوفير والاستثمار. ولفهم هذا الموضوع يكفي أنْ ننظر إلى حجم

(١) راجع: أبا عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٤٣، ح٤٦٥٢؛ أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: فضائل الصحابة، ج٢، ص٦٨٣، ح١١٦٨.

(٢) الشيخ المفيد: الاختصاص، ص١٥٧.



موقوفات الإمام عليه السلام وسعتها والمحاصيل التي تنتجها. فاجتماع هذا الحجم الكبير من رأس المال، لم يكن ممكناً بدون الجدية في الإنتاج والتوفير والاستثمار، لذلك يمكن القول وبحزم: إنّ الإمام خصّص في أواسط عمره جزءاً كبيراً من دخله وإمكانياته التي توافرت لديه في مجال الاستثمار. والسبيل الآخر لمعرفة حجم اهتمام الإمام لمسألة الاستثمار هو مقارنة حجم مدخولاته وحجم مصروفاته مع بعضهما. فالسعي لزيادة حجم الدخل من جانب، والقناعة والتوفير في الاستهلاك من جانب آخر ـ وهو ما نشاهده في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ـ دليل على الأهمية التي كان يوليها لمسألة الاستثمار.

وسوف ندرس سيرة الإمام فيما يتعلق بالتوفير والاستثمار ضمن قسمين، هما: «مصادر الاستثمار» و«تحليل النقاط الأساسية في أسلوب الاستثمار».

١ ـ ٣ ـ مصادر الاستثمار لدى الإمام:

نظراً إلى أنّ جميع استثمارات الإمام كانت في قطاع الزراعة، لذلك يمكن تقسيم مصادر استثماراته إلى ثلاثة أقسام:

أولاً ـ الاستثمار من فائض الدخل: لعل الدخل الآتي من العمل أو الدخل السنوي الذي يأتيه من بيت المال يشكّل أحد المصادر الرئيسية في عمليات الاستثمار التي قام بها الإمام. وحسب الرواية التي أوردناها سلفاً عن كيفية حصوله على ينبع، فإنّ جزءاً من الأرض التي اشتراها الإمام هناك بثلاثين ألف درهم، كانت من فائض دخله. يضاف إلى ذلك عشرات المزارعين (العمال) الذين يعتبرون من مصادر الإنتاج الأساسية لديه وكما ورد في وصيته، استطاع توفيرهم من هذا النوع من الدخل.

والمورد الآخر لهذا النوع من الاستثمار الذي يشاهد في مجال



الزراعة، هو رصد وتخصيص كمية من المحاصيل للبذور أو الغرس. فقد وردت الكثير من الروايات حول حمله عليه السلام لنويات التمر وزراعة بساتين نخيل جديدة، وهذا يبين استخدام الإمام لهذا المصدر في عملية الاستثمار.

ثانياً ـ استثمار تراكم الأيدي العاملة: كما تحدثنا سلفاً عن أسلوب الإمام في الإنتاج والحصول على الدخل، فإنّ رأسمال الإمام علي عليه السلام تكوّن بالأساس من الأراضي وبساتين النخيل والآبار التي أحدثها وأحياها بقوة يديه وعرق جبينه. لذلك نقول: إنّ جزءاً مهمّاً من تراكم ثروة الإمام واستثماراته كان حصيلة جهده وعمله، خاصة وأنّ أكثر ممتلكات الإمام ومزارعه التي أحدثها كانت في مناطق نائية وبعيدة مثل ينبع ووادي القرى ووادي عقيق، حيث لم تكن أراضيَ جيّدة في البداية، وكما أوردنا فإنّ الشخص الذي سبق الإمام في استثمار منطقة ينبع تركها غاضباً ويائساً بعد أنْ واجه ظروفاً شاقة. لذلك، لولا الإبداع والجدية في العمل والكدح لدى الإمام، لم يكن ليحصل على هذا الحجم من الثروة.

ثالثاً ـ الحصول على استثمارات من المصادر العامة للدخل: حسب الرواية التي أوردناها في القسم الخاص بدراسة سيرة الإمام عليه السلام في مجال الإنتاج والحصول على الدخل، فإنّه حصل على أربع قطع من الأراضي من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن الخليفة الثاني عمر بعنوان إقطاع. وكانت الأراضي المذكورة من الموات التي تعتبر جزءاً من الأنفال في النظام الاقتصادي الإسلامي، وتقع بيد ولي أمر المسلمين. وقد عمل الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء في صدر الإسلام على إعطاء المسلمين الكثير من الأنفال من أجل إحيائها، وقد حصل الإمام على أراضٍ عن طريق ذلك.



وهناك بعض الأراضي التي حصل عليها الإمام عن طريق الفيء وتقسيم غنائم الحرب، وقد أوردنا ذلك في الفصل الأول من الكتاب.

ومن الموارد الأخرى لهذا النوع من الاستثمار، حصته السنوية من تقسيم أسرى الحرب، فكما أشرنا سلفاً كان المسلمون يوزعون أسرى الحرب بينهم كعبيد بدل قتلهم. وبهذا الشكل حصل الإمام على الكثير من العمال والمزارعين. وبالرغم من أنّ نسبة هذا المورد قليلة مقارنة بموارده الأخرى، لكنه ﷺ كان يستخدم جميع ما بيده من إمكانيات على أحسن وجه لإنتاج المحاصيل الزراعية.

٢ ـ ٣ ـ أسلوب صرف الاستثمارات عند الإمام:

أولاً ـ طبيعة التوفير والادّخار: بالرغم من أنّ المفهوم الظاهري للادّخار هو الإبقاء على جزء من الدخل في الوقت الراهن من أجل صرفه في المستقبل، لكنّ معرفة طبيعة ذلك بدقة، وماذا يعني التوفير والادخار لدى الفرد، يرتبط إلى حدّ ما بفهمه لنوع الحاجة المستقبلية. وبالطبع فإنّ الشخص الذي ينظر إلى الدنيا باعتبارها المستقرّ، فإنّه سيدّخر ما ينفعه في هذه الدنيا مستقبلاً، أما إذا كان يرى العالم غير محدود وأنّ ثمّة عالماً آخر، فبالطبع سيدّخر ما يفيده لآخرته أيضاً، ولا يقوم باستهلاكه وصرفه في هذه الدنيا، وهذا الادخار للآخرة يمكن أن نعتبره جزءاً من التوفير والادخار. وبالنظر لإيمان الإمام بالآخرة، فقد قرّر أن يرصد حصة من عوائده ومدخولاته لاستهلاكها في هذه الدنيا ويدّخر الباقي للآخرة. وإذا ما أخذنا هذه الملاحظة بنظر الاعتبار وهي أنّه كان قليل الصرف في هذه الدنيا ويدّخر مدخولاته للمستقبل، وكان يرى أنّ كلا الادخارين ـ الدنيوي والأخروي ـ لازمان وضروريان، لكنه كان يرجح ادّخار الآخرة على الدنيا. وفي العديد من الأقوال التي رويت

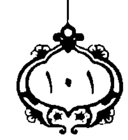


عنه عليه السلام نجد اهتماماً بهذا النوع من الادخار أكثر من الادخار الدنيوي. ففي هذه الأحاديث اعتبرت الصدقة (وهي إعطاء المال للمحتاجين لكسب رضى الله) ادّخاراً[1]؛ بل أفضل أنواعه[2]، وأنّها ادخار الأثرياء[3]؛ لأنّ هذا النوع من الادخار لا تصيبه آفة ولا يأتي عليه شيء، كما أنّ ثوابه يتضاعف مئات المرات، ولذلك فهو مقدم على الادخار الدنيوي.

وكان الإمام عليه السلام يرصد مبالغ كبيرة من فائض دخله للصدقة التي يعتبرها نوعاً من الادخار للمستقبل. بعبارة أخرى، لا يرى علي بن أبي طالب عليه السلام أنّ سدّ حاجات البؤساء والفقراء ضمن المصروفات الاستهلاكية، بل هي أفضل أنواع الاستثمار لمستقبل المجتمع، ونتيجته هي تأهيل الفقراء والكشف عن مواهبهم وإدخال قواهم الفكرية والعملية ضمن دائرة الإنتاج الوطني. ولقد أدرك الإمام جيداً أنّ التطور الاقتصادي للمجتمع لا يكون دون دعم وإسناد الشرائح القليلة الدخل والفقيرة، الأمر الذي لا يزال الاقتصاد المعاصر يتعامل معه بمنطق الحسابات الكمّية المادية فقط. وعلى هذا يكون، تقديم مفهوم جديد وتقدمي لهذه الظاهرة من أهمّ خصوصيات سيرة الإمام علي عليه السلام في الادخار والتوفير والاستثمار.

ثانياً ـ دوافع الادخار والتوفير: الإنسان الواعي اقتصادياً، يمتلك برنامجا في الصرف والاستهلاك وتوزيع الدخل. فالعقلانية الاقتصادية توجب عليه ادخار جزء من دخله اليومي (الحالي) للمستقبل، أمّا كيفية الادخار وحجمه وموارد صرفه فهي أمور مرتبطة بالدوافع التي يملكها

(١) عبد الواحد الآمدي التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم، ح٢٠٨.
(٢) المصدر نفسه، ح١٦٧٩.
(٣) المصدر نفسه، ح١٠٦٢.



للادّخار. وعادة ما تكون الدوافع التالية خلف عملية الادخار، وهي: عدم الاطمئنان إلى المستقبل، السعي لرفع مستوى الدخل، الاستفادة من الميزات الروحية والاجتماعية للثراء، ترك إرث الأبناء والتفاخر والتكاثر ـ حسب المصطلح القرآني ـ. وبالطبع فإنّ لكلّ واحدة من هذه الدوافع أهدافاً ودوافع غائية أيضاً.

لكنّ دوافع الإمام علي عليه السلام في الادخار تختلف تماماً عن الدوافع المذكورة أعلاه، فالنظرة العلوية، ترى أنّ عدم الاطمئنان إلى الرزق في المستقبل هو سوء ظن بالله تعالى[1]. وأنّ الذي يمتلك مثل هذه الصفة لن يفلح أبداً[2]. فالأمل الذي يحمله الإمام بالله سبحانه وتعالى والتوكّل عليه، تجعله ينفق طعام عياله على المحتاجين حتى في أحلك الظروف الاقتصادية. كما أنّ توريث الأبناء والسعي لرفع مستوى الدخل وتحسين ظروف العيش والتفاخر والتكاثر لا يمكن أنْ يشكل دافعاً لدى الإمام علي عليه السلام للادخار والتوفير، لأنّ الإمام لم يترك ثروة لمن بعده وقد أوقف جميع ما ادخره للمحتاجين.

وبالنظر إلى مجموع ما ورد عن الإمام علي عليه السلام وما جاء في رسالة وقفه، يمكن أن نصل إلى النتيجة التالية وهي أنّ الإمام لم يكن له دافع وراء الادّخار سوى كسب رضى الله تبارك وتعالى والخوف من عقاب يوم القيامة. وعلى أساس هذا الهدف النهائي الذي رسمه لنفسه، وضع هدفاً وسطياً وقاعدة سلوكية تقوم على المبدأ التالي: «قليل المؤونة كثير المعونة». وفي هذا المجال ـ الادخار ـ أيضاً عمل على أساسها. فكما

---

(1) ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقره: ٢٦٨].

(2) «من اهتم برزق غد لم يفلح أبداً». (عبد الواحد الآمدي التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم، ح٩١١٣).



كان يهتم الإمام بحاجاته وحاجات الآخرين، لم يكن غافلاً عن البحث في الحلول المستقبلية للمحتاجين والفقراء. لذلك فهو يدرس الظروف باستمرار ويدخر جزءاً من مدخولاته للمستقبل من أجل استثمارها. ويستمر الإمام قدر المستطاع في عملية الاستثمار هذه، لكنه ومع اقتراب نهاية عمره الشريف وبعد وصوله إلى سدّة الخلافة، حيث لم يكن لديه متسع من الوقت للاستثمارات الجديدة من عوائده، يحتفظ بأصل رأسماله كوقف للمحتاجين وينفق عوائده على الفقراء والمساكين.

ثالثاً ـ تجنب تجميد المدّخرات: تدل سيرة الإمام علي عليه السلام على عدم إبقاء المدخرات مجمّدة دون استثمار لأنّه يرى أنّ المال وُجد لفائدة الإنسان[1]؛ لذلك فإنّ تجميده واكتنازه حبّاً فيه، إنّما هو ظلم للإنسان وحرمان الآخرين من هذه النعمة الإلهية. والاستثناء الوحيد في ذلك هو النفقات السنوية، التي يجيز ادّخارها مالاً أو بضاعة، ولقد بيّن الإمام في إحدى خطبه حدود هذا الادخار بالنظر إلى ظروف عصره، فقال: «**كلّ ما زاد على أربعة الآف فهو كنز؛ أدّيت زكاته أو لم تؤدَّ وما دونها فهو نفقة**»[2].

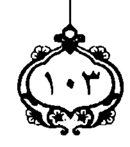
وطبقاً لهذه القاعدة، فإنّ الإمام لم يترك مالاً راكداً، إلا ما كان من قوت عياله السنوي، وقد ورد ذلك في ما تحدث عنه محمد بن الحنفية حول إنفاق الدخل[3]. إذ لم يجز الإمام حسب القاعدة المذكورة تأخير توزيع عطاءات بيت المال، في فترة خلافته عليه السلام، و«**كان ينضح بيت المال ثم يتنفل فيه ويقول: اشهد لي بوم القيامة أني لم أحبس فيك المال على المسلمين**».

---

(١) عبد الواحد الآمدي التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم، ح٥٠٨.

(٢) الطوسي: تفسير التبيان، ج٥، ص٢٤٧؛ جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور، ج٤، ص١٧٩.

(٣) راجع: الكتاب، تحت عنوان المساعدة المالية المباشرة للمحتاجين.



رابعاً ـ الاستناد إلى المصادر الداخلية في الاستثمار: ومن خصوصيات سيرة الإمام علي عليه السلام، أنه كان يستند إلى الموارد الداخلية في عملية الاستثمار. فكما ذكرنا سلفاً، هذه الموارد تؤمّن عادة من فائض الدخل أو جهود وإبداعات الإمام نفسه. ولم نجد في كتب السيرة مورداً جرى الاستثمار فيه من خلال الاقتراض، لأنه كان يعارض الدين ويعتبره نوعاً من العبودية للآخرين[1].

فلم يكن للاقتراض مكان في استثماراته. ولعل الالتفات إلى هذه القضية بالنسبة إلى دول مثل إيران التي هي بحاجة إلى استثمارات وتعاني من قلتها في الداخل مهم للغاية.

خلاصة البحث:

إنّ سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ما هي إلا تجسيد موضوعي لأحكام ومثل وقيم الإسلام. فكما كان الأسوة والرائد في العلوم والفنون والمعارف والسياسة والجهاد والخطابة، فإنه أنجح شخصية عرفها التاريخ في سلوكه الاقتصادي.

والنشاطات الاقتصادية التي كان الإمام عليه السلام يقوم بها كانت ضمن برنامج وخطة اقتصادية متكاملة، حددت في ضوئها مكانة جميع الأهداف البعيدة والوسطى والقريبة والسلوكيات بشكل دقيق جداً، لذلك لا تشاهد أيّ خلل أو اضطراب في تطبيقها على أرض الواقع. وفي هذه الخطة والبرنامج، يبقى المبدأ الأساس من وراء جميع ذلك هو «كسب رضى الله والخوف من عذابه».

وهذا المبدأ يحكم جميع سلوكيات الإمام الاقتصادية. ومعنى العمل

---

(١) الدين أحد الرقين. (عبد الواحد الآمدي التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم، ح١٦٨٧).

الاقتصادي العقلاني في نظر الإمام هو أيّ عمل فيه رضى الله تعالى أو يحول دون غضبه جل وعلا.

والهدف المتوسط المدى والقاعدة التي تحكم الإمام في جميع سلوكياته الاقتصادية، من الإنتاج، الادخار والاستثمار حتى الاستهلاك والمشاركة الجماعية، هي «قليل المؤونة وكثير المعونة». والإمام يسعى دائماً إلى هذا الهدف النهائي ودائماً من خلال الإنتاج والثروة وكسب الدخل. فكان عليه السلام يرصد الأقل دائماً من هذه المدخولات لنفسه والأكثر دائماً للمشاركة الاجتماعية، ويقوم باستثماراته من أجل المساعدة وسدّ حاجات المعوزين.

إنّ الإمام ومن خلال سيرته الطاهرة في الحياة وكيفية بناء مجتمع سليم وعامر ومرفّه يسوده العدل، يقدّم نموذجاً للبشرية. إنّه يرشد الإنسان إلى طريقة بناء مجتمع سعيد، أساسه حب الله بعيداً عن مجرّد اللذة العابرة. إنّه وبلا شك الطريق والعلاج لداء الفقر المزمن والردّ المناسب على لغز التاريخ، أقصد العدالة.







المصادر

أولاً ـ المصادر العربية

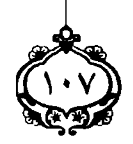
١ ـ ابن أبي الحديد المعتزلي عز الدين عبد الحميد بن محمد: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.

٢ ـ ابن شهرآشوب المازندراني، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي: مناقب آل أبي طالب، قم، المطبعة العلمية، بدون تاريخ.

٣ ـ ابن ماجة القزويني، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار احياء التراث، ط١، ١٣٩٥هـ.

٤ ـ ابن هلال الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد: الغارات، تحقيق السيد جلال الدين المحدث الأرموي، طهران، منشورات انجمن آثار ملي، ط١، ١٣٩٥هـ.

٥ ـ أبو الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام). بيروت دار التعارف ودار صعب، بدون تاريخ.



٦ ـ أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ.

٧ ـ الإحسائي (ابن أبي جمهوري)، محمد بن علي بن إبراهيم: عوالي الآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق مجتبى العراقي، قسم، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، ط١، ١٤٠٣هـ.

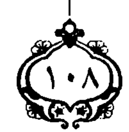
٨ ـ الأربلي، علي بن عيسى: كشف الغمة في معرفة الأئمة، تصحيح السيد هاشم الرسولي المحلاتي، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ.

٩ ـ الأزدي (المبرد) أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في الأدب، تحقيق محمد أحمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.

١٠ ـ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة ٢١٣٨٧هـ.

١١ ـ الآمدي التميمي، عبد الواحد: غرر الحكم ودرر الكلم، شرح جمال الدين محمد الخوانساري، تحقيق سيد جلال الدين المحدث الأرموي، طهران، ط ٣، ١٩٨١م.

١٢ ـ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط ٤، ١٤١٠هـ.



١٣ ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٤١٧هـ.

١٤ ـ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ.

١٥ ـ التميمي المغربي، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون: دعائم الإسلام، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، مصر، دار المعارف، ط ٣، ١٣٨٩هـ.

١٦ ـ التميمي الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي بن الثمني: مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، جده، دار القبلة، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٧ ـ الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ.

١٨ ـ الحراني (ابن شعبة)، أبو محمد الحسن بن علي تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تحقيق علي أكبر الغفاري، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٤هـ.




١٩ ـ الحلي الأسدي، أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد: عدة

الداعي ونجاح الساعي، تحقيق أحمد الموحدي، طهران، مكتبة وجداني.

٢٠ ـ الحلي، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر: كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، تحقيق علي آل كوثر، قم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط ١، ١٤١١هـ.

٢١ ـ الحموي الرومي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله معجم البلدان، بيروت دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٣٩٩هـ.

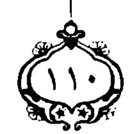
٢٢ ـ الحميري، أبو العباس عبد الله بن جعفر: قرب الإسناد، قم، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت، ١٤١٣هـ.

٢٣ ـ الحنفي الخوارزمي، الحافظ الموفق بن احمد البكري المكي: المناقب، تحقيق مالك المحمودي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤١٤هـ.

٢٤ ـ الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، تحقيق ونشر مكتبة المعارف، بيروت.

٢٥ ـ الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة، مطبعة المصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥هـ.

٢٦ ـ الديلمي، أبو محمد الحسن بن أبي الحسن: إرشاد القلوب، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط ٤، ١٣٩٨هـ.



٢٧ ـ الراوندي، فضل الله النوادر، تحقيق سعيد رضا علي عسكري، قم، مؤسسة دار الحديث، ١٩٩٨.

٢٨ ـ الروسي الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

٢٩ ـ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، قم، منشورات الرضي، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٠ ـ الزمخشري. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: الكشاف، بيروت، دار المعرفة.

٣١ ـ السجستاني الأزدي، أبو داوود سليمان بن أشعث: سنن أبي داوود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار إحياء السنّة النبوية.

٣٢ ـ السلمي السمرقندي العياشي، أبو النضر بن محمد بن مسعود: تفسير العياشي، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، طهران، المكتبة العلمية، ط ١، ١٣٨٠هـ.

٣٣ ـ السيوطي، جلال الدين: الدر المنثور في التفسير المأثور، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٤١٤هـ.

٣٤ ـ الشافعي السمهودي، علي بن عبد الله الحسني: وفاء الوفاء

بأخبار دار المصطفى، تحقيق عبد الحميد ومحمد محيي الدين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٤هـ

٣٥ ـ الشريف الرضي: خصائص الأئمة عليهم السلام (خصائص أمير المؤمنين)، تحقيق محمد هادي الأميني، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية التابع للحضرة الرضوية المقدسة، ١٤٠٦هـ

٣٦ ـ الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، مكة جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.

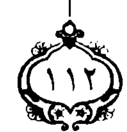
٣٧ ـ الشيباني الموصلي معروف به ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد: الكامل في التاريخ، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٨ ـ الشيخ المفيد (ت ٤١٣هجري): الاختصاص، تحقيق علي أكبر غفاري، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٤، ١٤١٤هـ.

٣٩ ـ الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام: المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، منشورات المجلس العلمي.

٤٠ ـ الطباطبائي، سيد محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، قم، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان ط ٣، ١٣٩٤هـ.

٤١ ـ الطبرسي، أبو علي فضل بن الحسن: مكارم الأخلاق، تحقيق علاء آل جعفر، قم مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٤هـ.



٤٢ ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف.

٤٣ ـ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن: الأمالي، تحقيق مؤسسة البعثة، قم، دار الثقافة، ١٤١٤هـ.

٤٤ ـ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، بيروت، دار التعارف، ط ١، ١٤٠١هـ.

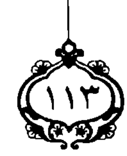
٤٥ ـ الطوسي، أبو جعفر محمد بن حسن (ت ٤٦٠هـ.ش): تفسير التبيان، النجف الأشرف، مكتبة الأمين.

٤٦ ـ العروسي الحويزي، شيخ عبد علي بن جمعة: تفسير نور الثقلين، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، قم، مؤسسة إسماعيليان، ط٤، ١٤١٢هـ.

٤٧ ـ الفيض الكاشاني، مولا محسن: المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، مع حاشية علي أكبر الغفاري، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٨٣هـ.

٤٨ ـ القشيري النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الحديث، ط١، ١٤١٢هـ.

٤٩ ـ الكليني الرازي، أبو جعفر ثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، بيروت، دار صعب ودار التعارف، ط ١، ١٤٠١هـ.



٥٠ ـ الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات: تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد الكاظم، طهران، مؤسسة الطبع والنشر، ط١، ١٤١٠هـ.

٥١ ـ الكوفي القاضي، محمد بن سليمان: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق محمد باقر المحمودي، قم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط ١، ١٤١٢هـ.

٥٢ ـ اللخمي الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٤هـ.

٥٣ ـ المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي: بحار الأنوار، بيروت، مؤسسة الوفاء، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٥٤ ـ المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تحقيق هاشم رسولي محلاتي، طهران، دار الكتب الإسلامية، ط ٣، ١٩٩١م.

٥٥ ـ المحدث النوري، حسين بن محمد تقي: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٥٦ ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط ٤، ١٣٨٤هـ.





٥٧ ـ المؤتمر العالمي: مصنفات الشيخ المفيد، بمناسبة ذكرى ألفية الشيخ المفيد، ط١، ١٤١٣هـ.

٥٨ ـ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب سنن النسائي، (شرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي)، بيروت، دار الجيل، ط ٤، ١٤٠٧هـ.

٥٩ ـ النميري البصري، أبو زيد عمر بن شبة: تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، بيروت، دار التراث، ط ١، ١٤١٠هـ.

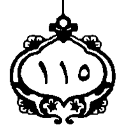
٦٠ ـ الواسطي الشافعي (ابن مغازلي)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد: مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، إعداد محمد باقر اليهودي، طهران، المكتبة الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٢هـ.

٦١ ـ الواقدي، محمد بن سعد كاتب: الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر.

٦٢ ـ الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والافعال، بيروت، تصحيح صفوة السقا، مكتبة التراث الإسلامي، ط ١، ١٣٩٧هـ.

ثانياً ـ المصادر الفارسية

٦٣ ـ انصاري، محمد جعفر وديرباز، عسگر وكرمي، محمد حسين وكرمي، محمد مهدي: درآمدي به مباني اقتصاد خرد به نگرش اسلامي، پژوهشكده حوزه ودانشگاه، ط ١، ١٣٧٨ش.



٦٤ ـ جعفريان، رسول: تاريخ سياسى اسلام، قم، انتشارات الهادى، چاپ دوم، بى تا.

٦٥ ـ حسينى، سيد رضا: الگوى تخصيص درآمد ورفتار مصرف كننده مسلمان، تهران، پژوهشگاه فرهنگ وانديشه اسلامى ط ١، ١٣٧٩ش.

٦٦ ـ حسينى، سيد رضا: «نقدى بر ديدگاه سرمايه دارى در باره انسان اقتصادى». مجله كتاب نقد، ش ١١، تابستان ١٣٧٨ش.

ـ خليل الجرّ فرهنگ عربي ـ فارسي، ترجمة سيد احمد طبيبان.

٦٨ ـ دفتر همكاري حوزه ودانشگاه: مبانى اقتصاد اسلامي، تهران، انتشارات سمت ط١، ١٣٧١ش.

٦٩ ـ زريباف، سيد مهدى: تحليلى برسير شناخت وروش شناسى اقتصاد، پايان نامه كار شناسى ارشد علوم اقتصادى، دانشگاه امام صادق.

٧٠ ـ زريباف، سيد مهدى: «علم اقتصاد نوين از ديدگاه مكاتب روش شناسى» مجله نامه علوم انسانى، ش ١، ١٣٧٩ش.

٧١ ـ شيخ صدوق، ابو جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى: كتاب من لايحضره الفقيه، تحقيق على اكبر الغفارى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢، بى تا.

٧٢ ـ شيخ صدوق، ابو جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه



قمی، الامالی، قم، تحقیق ونشر مؤسسة البعثة ط ۲، ۱٤۰۷ق.

۷۳ ـ شیخ صدوق، ابو جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویه قمي: علل الشرائع، بیروت، دار احیاء التراث ط ۱، ۱٤۰۸ق.

۷٤ ـ علی بن حسن (ابن عساکر): تاریخ مدینة دمشق تحقیق علی شیری، بیروت، دار الفکر، ۱٤۱٥ق.

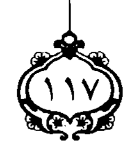
۷٥ ـ علی بن حسن (ابن عساکر): ترجمة الإمام علی بن ابی طالب من تاریخ مدینة دمشق، تحقیق محمد باقر المحمودی، بیروت، مؤسسة المحمودی لطباعة والنشر، ط ۱۰، ۱۳۹۸ق.

۷٦ ـ قائدان، اصغر: تاریخ وآثار اسلامی مکه مکرمه ومدینه منوره، قم، مرکز تحقیقات حج، ط ۲، ۱۳۷٤ش.

۷۷ ـ مجله کتاب نقد، ش ۱۱، مؤسسه فرهنگی دانش واندیشه معاصر، تابستان ۱۳۷۸ش.

۷۸ ـ محمد بن عمر الواقدی: المغازی، تحقیق مارسدن جونس، بیروت، عالم الکتب، ۱٤۰٤ق.

۷۹ ـ محمدی ری شهری، محمد موسوعة الإمام علی بن ابی طالب عليه السلام في الکتاب والسنة والتاریخ، به مساعدة محمد کاظم الطباطبائی ومحمود الطباطبائی، قم، دار الحدیث ط۱، ۱٤۲۱ق.



٨٠ ـ معين، محمد: فرهگ فارسی، چاپخانه سپهر، چاپ چهارم، ١٣٦٠ش.

٨١ ـ منتظری، حسين علی: دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، قم، المركز العالمی للدراسات الإسلامية ط ٢، ١٤٠٩ق.

٨٢ ـ هانت، ای. ك: تكامل نهادها وايدئولوژی های سرمايه داری، ترجمه سهراب بهدادی تهران، شركت سهامی كتاب های جيبی ط٤؟

٨٣ ـ هومن، محمد: فرهنگ لغات واصطلاحات اقتصادی، تهران، سازمان برنامه وبودجه ط ١، ١٣٥٦ش.

